سلسلة مؤلفات السيد الديباجي المطبوعة
(٤٩)

القصص القرآنية

الجزء الثالث



تأليف
السيد أبو القاسم الديباجي

w.w.w.aldibaji.org

سلسلة مؤلفات السيد الديباجي المطبوعة
(٤٩)

القصص القرآنية

الجزء الثالث

السيد أبو القاسم الديباجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الالكترونية الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

قالَ أبو عبدِ الله عليه السلام:

إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم فإنّ كلّ محبٍّ لشيءٍ يحوط ما أحبّ؛ وقال عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين إنّ أدنى ما أنا صانعٌ بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم.

«الأصول الكافي، كتاب فضل العلم»

عَنْ إمامِ العارِفِينْ

أَمِيرِ المُؤمِنِين (ع)

العِلْمُ نَهْرٌ

وَالحِكْمَةُ بَحْرٌ

وَالعُلَماءُ حَوْلَ النَّهْرِ يَطُوفُونَ

وَالحُكَماءُ وَسَطَ البَحْرِ يَغُوصُونَ

وَالعارِفُونَ في سُفُنِ النَّجاةِ يَسِيرُونَ

في المجلد الثاني لشرح أصول الكافي لملا محمد صالح المازندراني صفحة ٧٠ باب فضل العِلم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بما حمد به نفسه والصلاة والسلام على رسوله الأمين وخاتم المرسلين الذي بعثه رحمة للعالمين محمد وآله الطيبين الطاهرين لا سيما ناموس الدهر وإمام العصر بقية الله في الارضين والقائم بالحق المبين صاحب الزمان وإمام الانس والجان الحجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يجب على كل انسان مؤمن ومسلم الاهتمام بالقرآن والعمل به حيث وردت أحاديث كثيرة عن الرسولﷺ والائمة الأطهار عليهم السلام تحثّنا على التمسك بالقرآن والاهتمام به حيث أن القرآن هو صديق الانسان وصاحبه في طول حياته وسفره الى الله فالقرآن ليس مجرد أوراق بين الدّفّتين بل حقيقة القرآن وملكوت القرآن هو القرآن الحكيم، الشافي، المربّي للأنفس، الشاعر والمدرك الذي يدرك ويشعر بالمخاطب ويخاطبه ببساطة حتى يرتبط فيه ويصبح صديقه.

فالقرآن يعلّمنا كيف نهتم بعقائدنا كالايمان بالله والايمان بالرسل والانبياء والايمان بملائكة الله وكتبه السماوية ويوم القيامة والجنة والنار والايمان بالصراط والميزان والايمان بالحشر والنشر والثواب والعقاب وأيضا يعلّمنا الشرائع والقوانين الالهية وكيف نتعامل مع الناس حولنا ومع المجتمع الذي نعيش فيه وكيف نرتبط بالله سبحانه وتعالى ونعبده ويعلّمنا الفضائل الاخلاقية والتي ترفع الانسان الى المقامات العالية للكمال.

وقد جاء في القرآن قصص ومواعظ كثيرة حتى نعتبر بها ونتعظ ونحصل على الكنوز القرآنية المخفية ومن ثم نصعد في مدارج الكمال ونصل الى المولى الحقّ عزّ وجلّ ونتصل به.

وبتوفيـق مـن الله انتهينا من الجزء الثاني من كتـاب "القصص القرآنية" والذي يحتوي على القصص التـي وردت في القرآن حتى يسـتنير بها قلـوب المؤمنين وتفتح لهم أبواب السـعادة في الدنيا والآخرة، راجيـا من الله عـزّ وجلّ ومن مولانا صاحب العـصر والزمان بقية العترة الطاهرة، الحجة بن الحسـن العسكري روحي وأرواح العالمين لمقدمه الفداء القبول لهذه الصفحات القليلة.

السيد أبو القاسم الديباجي
رمضان ١٤٢٢ هـ

قصة حياة نبی الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم

قصة حياة نبى الاسلامﷺ

نبى الاسـلام محمد بن عبد اللهﷺ هو أفضل الأنبياء والرسـل وخاتمهم، وليس هناك نبى من بعده وتنتهى سلسلة نسبه الشريف الى ابراهيم الخليلعليه السلام في (٣٠) واسطة.

اسـم نبى الاسـلام هو محمـدﷺ، وجاء هذا الاسـم في القرآن اربـع مرات، والاسـم الآخر له هو أحمـدﷺ والـذى ذكـر في القرآن مرة واحـدة، ولكن جاءت ألقابـه عشرات المرات في القـرآن كالنبي، الرسول، البشير، النذير وخاتم الانبياء.

ويمكن تقسيم حياة النبي الاكرمﷺ المشرقة الى أربعة مراحل:

١- نبى الاسلامﷺ قبل الولادة، وفي الكتب السماوية وأقوال الأنبياء من قبله عنه.

٢- نبى الاسلامﷺ بعد الولادة وقبل النبوة (٤٠ سنة).

٣- نبى الاسلامﷺ في مكة بعد النبوة (١٣ سنة).

٤- نبى الاسلامﷺ في المدينة بعد الهجرة (١٠ سنوات).

كان لرسـول اللهﷺ زوجات عديدة، أولهن كانت السـيدة خديجةعليها السلام، والمشهور أن أولاد النبيﷺ كانـوا مـن خديجـةعليها السلام سـتة أولاد، والذيـن توفـوا جميعهم في حيـاة النبـيﷺ ماعـدا السـيدة فاطمة الزهراءعليها السلام، والتي كانت الذكرى الوحيدة للرسولﷺ، وعندما توفي النبيﷺ كان عمرها آنذاك ثمانية عشر سنة.

عاش نبى الاسـلامﷺ (٦٣) سـنة، وفي آخر سـنة من عمـره وفي يوم الثانى عـشر من ذى الحجة، نصـب الامام عـليعليه السلام في صحراء غدير أمام الآلاف من المسـلمين خليفة وإمام مـن بعده، وفي موارد عديدة صرّح بخلافة علي وو صايته.

والقـرآن الكريـم آخـر الكتـب السـماوية هو معجـزة رسـول الاسـلامﷺ وعلامة لعظمـة مقامه

الشريف، قال الله عزّ وجّل بصراحة في القرآن:
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[١]

يوجد آلاف من القصص والحوادث في تاريخ حياة نبي الاسلام ﷺ، وهنا سنتطرق في هذا الكتاب الى جزء من القصص التي ترتبط به والتي جاءت في القرآن أو أشير إليها.

بداية البعثة النبوية الشريفة

مضى أربعون سنة من عمر النبي ﷺ، وطلع على البشرية صباح اليوم السابع والعشرين من رجب، وكان ﷺ قد شغلته عبادة ربّه في جبل «حراء» عما يدور حوله، فنزل عليه رسول الوحي جبرائيل الأمين، وقرأ عليه هذه الآيات:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

عندما تلقّى النبي ﷺ وميض الوحى أحسّ بالتعب، فتوجه إلى دار خديجة وقال: زمّلونى و دثّرونى.

مكث ﷺ في فراشه الى أن نزلت عليه أوائل سورة المدّثر من الآية (١-٧) بواسطة جبرائيل عليه السلام وقرأها عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[٢].

وبهذه الصورة كانت بداية الاسلام، بإسم الله سبحانه، والقراءة والقلم، والقيام، والانذار، والخلاص، وتكبير الله عزّ وجلّ.

فالبعثة هى القيام المعنوى، والثورة الشاملة على جميع الاصعدة، والتي بدأت بثورة ثقافية لأن بنيان الثورة وأسسها تقوم على أساس القراءة والكتب وتطهير النفس وبث الوعى.

إعلان النبي ﷺ عن دعوته

كانت أجواء مكة ومحيطها غارقة بالمفاسد بأنواعها لذلك مرّت الرسالة المحمدية مرحلة سريّة دامت ثلاث سنوات يقتصر فيها على الاتصال مع الافراد ودعوتهم الى الاسلام، وفي تلك السنوات الثلاث قيل: آمن أربعون شخصاً بالنبي ﷺ والتحقوا بركب الاسلام.

وأول من آمن من الرجال ابن عمّه علي بن أبى طالب عليه السلام، وأول من آمنت به من النساء زوجته الوفية خديجة الكبرى سلام الله عليها.

وعلى كل حال، إنصرم ثلاثة سنوات من عمر الدعوة المحمدية، فنزلت الآية (٩٤) و(٩٥) من سورة الحجر: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

وكان المستهزئون برسول الله ﷺ خمسة أشخاص من طغاة مكة الأثرياء ذوى المال والجاه، إذ وقفوا ضدّ الدعوة المحمدية وخالفوها أشدّ المخالفة وهم:

١- وليد بن مغيرة

٢- عاص بن وائل

٣- أسود بن مطلب

٤- أسود بن عبد يغوث

٥- حارث بن طلاطلة

ثم ابتلى الله كل واحد منهم ببلاء لم ينجو منه أحد.

فعندما نزلت الآية المذكورة أعلن النبي ﷺ عن دعوته السمحاء فجاء الى فناء البيت عند اجتماع قريش فقام على الحجر فقال: يا معشر العرب: أدعوكم إلى شهادة أن لا اله الا الله وإنّى رسول الله وآمركم بخلع الانداد والأصنام فأجيبونى تملكون بها العرب وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً في الجنة.

فاستهزئوا منه وقالوا: جنّ محمّد بن عبد الله، ولم يجسروا عليه لموضع أبى طالب فاجتمعت قريش على أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن إبن أخيك قد سفه أحلامنا وسبّ آلهتنا وأخذ شبابنا وفرّق جماعتنا فإن كان يحمله على ذلك العدم، جمعنا له مالاً فيكون أكثر قريش مالاً، ونزوّجه أيّ امرأة شاء من قريش.

فقال له أبو طالب: ما هذا يا بن أخ؟

فقال: يا عمّ هذا دين الله الّذى ارتضاه لانبيائه ورسله، بعثنى الله رسولاً الى النّاس.

فقال: يا إبن أخ انّ قومك قد أتونى يسألوننى أن أسألك أن تكّف عنهم.

فقال: يا عمّ لا أستطيع أن أخالف أمر ربّى، فكفّ عنه أبو طالب ثمّ اجتمعوا الى أبى طالب فقالوا: أنت سيّد من ساداتنا فادفع إلينا محمّداً لنقتله وتملك علينا، فقال أبو طالب قصيدته الطّويلة يقول فيها:

وَنَنْصُرُهُ حتّى نُصرّع حَولهُ
وَنَذْهَلُ عَنْ أبْنائِنا و الْحلائِلُ[٣]

وبهذا الترتيب، كما قال الله عزّ وجلّ في الآيتين المذكورتين (٩٤و٩٥ من سورة الحجر) ووعد النبيﷺ، حفظه بإمداداته الغيبية ونصره من إيذاء المستهزئين والمشركين.

اعتراض ابو لهب الشديد وأذيته لنبى الإسلام ودفاع أبو طالب البطولى

كانت سنوات بداية إعلان بعثة نبى الاسلامﷺ وكان الناس مشغولين بالبيع والشراء في سوق ذى المجاز، فظهر محمّدﷺ بلباس أحمر وقال بصوت عالٍ: «أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، فإذا بأبى لهب (عم النبي) خلفه يرميه وقد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول: يا أيها الناس لاتطيعوه فإنّه كذّاب.[٤]

وفي يوم آخر وفي نفس السوق كان الناس مشغولين بالبيع والشراء، فوقف النبيﷺ ودعاهم الى الله، وترك الاصنام.

وكان العباس عم النبي قائم يسمع الكلام، فجاء عنده وقال: أشهد أنك كذّاب، ومضى الى أبى لهب وذكر ذلك فأقبلا يناديان: إن ابن أخينا هذا كذاب، فلا يغرنكم عن دينكم[٥]، فاستقبل النبيﷺ أبو طالب واكتنفه، وأقبل على أبى لهب والعباس فقال لهما: ما تريدان تربت أيديكما، والله انه لصادق القيل، ثم أنشد أبو طالب:

أنت الأمين أمين الله لا اكذب
والصادق القول لا لهو ولا لعب
أنت الرسول رسول الله نعلمه
عليك تنزل من ذى العزة الكتب[٦]

دعوة عشيرته الى الاسلام

لو أن عشيرة الرسولﷺ آمنت بدعوته لقصر لسان الأعداء في ملامته والاعتراض عليه ولا يقول قائلهم: أذهب أولاً الى إصلاح عشيرتك وأهل بيتك ثم أدعونا الى ما جئت من دعوةٍ، إضافة الى أنّ العشيرة تعتبر سنداً قويّاً لرسول اللهﷺ، ولذا أمر الله سبحانه أن ينذر عشيرته قائلاً عزّ من قائل: ﴿وانْذِرْ عَشِيرَتَكَ الاَقْرَبِينَ﴾.[٧]

وأما هل كان إنذار النبيﷺ في السنوات الثلاثة الأولى قبل أن يعلن عن دعوته، أم بعدها؟ يستفاد من القرائن التأريخية أنّه كان في السنوات الثلاثة الأولى أيام سرّية الدّعوة، وقال بعضهم: إنها كانت في السنة الثانية من البعثة النبوية الشّريفة.

ورد في التأريخ هـذا الانذار ودعوة عشيرته بصورة مختلفة، وهنا أنقل صـورة أقرب الى الواقع في هذا الصدد:

أمـر النبـي ﷺ علياً عليه السلام أن يصنع صاعاً من الطعام وجعل عليه رجل شـاة وملأ عسّـاً من لبن[٨] ثم دعاهـم وهـم يومئذ ٤٠ رجـلاً (وقيل ٤٥ رجـلاً) فيهم أعمامه أبـو طالب وحمزة والعبّـاس وأبو لهب فأكلـوا وشربـوا حتـى رووا منـه جميعاً فلـما أراد رسـول الله ﷺ أن يكلمهـم بدره أبو لهـب فقال: «لقد سحركم صاحبكم» فتفرق القوم ولم يكلّمهم الرسول ﷺ.

وطبقاً لنقل بعض المؤرخين أنه فرّق مجلسـهم مرتان وفي المرة الثالثة قال لهم رسـول الله ﷺ قبل أن يفرّقهم أبو لهب: يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شـاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم بـه، إنّـى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعـالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم.

فأحجـم القـوم عنه جميعـاً، وقال علي عليه السلام (والـذى كان عمـره آنذاك ثلاثة عشر سـنة): أنا يا نبي الله، فقال له الرسول ﷺ: إجلس، فكررّ سؤاله للمرة الثانية، فقام علي عليه السلام للمرة الثانية وقال: أنا يا نبي الله فقال له الرسـول ﷺ: إجلس، وللمرة الثالثة سـألهم الرسول ﷺ فلم يجب أحداً منهم، فقام علي عليه السلام للمرة الثالثة وقال: أنا يا نبي الله.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع.[٩]

معراج نبى الإسلام ﷺ

مـن إحـدى الحوادث التي ذكرها القرآن في بداية سـورة الإسراء وسـورة النجم هي حادثة معراج النبي ﷺ.

ينقسم معراج النبي ﷺ إلى قسمين:

١- من مكة الى بيت المقدس.

٢- من بيت المقدس الى السماوات والملأ الأعلى.

وهنـاك اختلافـات في أنـه مـن أيـن بدأ عـروج النبـي ﷺ في مكة، قـال البعـض أنـه كان من بيت خديجة عليها السلام، وروى البعـض أنه كان من بيـت أم هاني أخت الامام علي عليه السلام، وعـلى قول البعض الآخر والذين يرون ظاهر الآية الاولى من سورة الإسراء، أنه كان من مسجد الحرام بجانب الكعبة.

وأيضـا اختلفــت الروايات في متى تم هذا السـفر السـماوي العظيم، وطبقاً لبعـض الروايات أن المعـراج كان في ليلة ١٧ من شـهر رمضان بعد صلاة العشـاء، سـتة أشـهر قبل الهجـرة، وطبقاً لرواية

أخرى أنه كان في ليلة ٢١ من شهر رمضان، أو في ليلة ٢٦ من شهر رجب، أو في إحدى ليالى شهر ربيع الاول في السنة العاشرة من البعثة النبوية.(١٠)

اقترب الرسولﷺ جداً إلى الله عزّ وجلّ لدرجة أنه جاء في القرآن في الآية (٩) من سورة النجم: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

نعم لو صعد البشر الى الأعلى بالوسائل الصناعية العجيبة والمتطورة أو حتى لو في يوم من الأيام عبر المجموعة الشمسية، فلن يتخطى واحد من المليون من طول سفر الرسولﷺ وعلى هذا الاساس لا يمكن الادّعاء بعدم الحاجة للإسلام قبل أربعة عشر قرن بحجة التطورات الصغيرة في مقابل معراج الرسولﷺ.

وهذا فخر عظيم لم ينله أحداً من الأنبياء أو الملائكة من قبل، وناله نبي الاسلامﷺ فقط والذى افتخر به الامام زين العابدينعليه السلام في خطبته في مجلس يزيد وقال:

أنا بن من أسرى به الى المسجد الاقصى، أنا بن من بلغ به الى سدرة المنتهى، أنا بن من دنى فتدلى وكان قاب قوسين أو أدنى.(١١)

رأى رسول اللهﷺ الكثير في معراجه من جملة ما رأى العرش الالهى والجنّة الأعلى ثم أخبر عن أحوالها، ومن إحدى مشاهداته التي جاءت في الروايات أنه قال: لما أسرى بي دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوفة، وعليها باب مكلل بالدر والياقوت، وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب «لا إله إلا الله محمد رسول الله ».(١٢)

بعدما أنهى الرسولﷺ صلاة المغرب، وحسب رواية أخرى، بعد صلاة العشاء، في المسجد الحرام (بجانب الكعبة) عرج به الى السماء، وفي نفس الليلة عاد وصلّى صلاة الصبح في المسجد الحرام.

لما عاد من المعراج وأصبح من ليلته حدّث قريشاً بخبر معراجه، فقال جهالهم: ما أكذب هذا الحديث؟ وقال أمثالهم: يا أبا القاسم فبم نعلم أنك صادق في قولك هذا؟

قال: أخبركم، مررت بعيركم في موضع كذا، وقد ضل لهم بعير، فعرفتهم مكانه، وصرت الى رحالهم، وكانت لهم قرب مملوة فصبت قربة والعير توافيكم في اليوم الثالث من هذا الموضع مع طلوع الشمس في أول العير جمل أحمر وهو جمل فلان.

فلما كان اليوم الثالث خرجوا إلى باب مكة لينظروا صدق ما أُخبر به محمد قبل طلوع الشمس، فهم كذلك إذ طلعت العير عليهم بطلوع الشمس في أولها الجمل الأحمر، وسألوا الذين كانوا مع العير فقالوا: مثل ما قال محمد في إخباره عنهم، فقالوا أيضا: هذا من سحر محمد.(١٣)

جاء في بعض الروايات قصة حديث الرسولﷺ مع قريش بالآتى: عندما رجع الرسولﷺ من

معراجـه، حـدّث به الناس، فكذّبه أبو جهل والمشركون وقالـوا: صف لنا بيت المقدس، فجاء جبرئيل بصـورة بيـت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما يسـألونه عنه، فقالوا: أيـن بيت فلان ومكان كذا؟ فأجابهم في كل ما سألوه عنه، وأخبرهم بالحوادث التي حصلت بين مكة وبيت المقدس وقال: مررت بعـير بنـى فلان وقد أضلّوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحلهم قعب من ماء مملو فشربت الماء فغطيته كـما كان، فسـألوهم هل وجـدوا الماء في القدح، قالوا هذه آية واحدة، فقـالعليه السلام، مررت بعير بنى فلان فنفـر بعير فلان فانكسرت يده فسـألوهم عن ذلك، فقالوا: هذه آيـة أخرى، قالوا: فأخبرنا عن عيرنا، قال: مررت بها بالتنعم، وبين لهم أحوالها وهيئاتها، قالوا: هذه آية أخرى.

ولكن غضب المشركون عندما علموا بصدق الرسولﷺ ولم يؤمنوا به.(١٤)

هجرة الرسولﷺ من مكة الى المدينة

مـن الحـوادث المهمة جداً في حياة النبيﷺ والسـاطعة والوضّاءة، هى هجرتـه من مكة الى المدينة، مثلما أشار إليها القرآن في سورة الانفال الآية (٣٠)، وفي سورة البقرة الآية (٢٠٧)، والتي تتلخص في الآتى: لما تعرّض المسلمون في مكة الى ضغـط وأذى شديدين من قبل المشركين أمرهـم رسول اللهﷺ بالهجرة الى المدينة، فأدرك المشركون الخطر الذى ينتظرهم فاجتمع زعماؤهم في دار النّدوة، واقترح كلّ منهم باقتراح للقضاء على هذه الدّعوة الفتية كما اشير إليها في الآية (٣٠) من سورة الانفال.

وأخـيراً، قـال أبوجهـل: والله إن لي فيـــه لـرأياً ما أراكـم وقفتم عليه بعـد، فقالوا: ومـا هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً شـابّاً جلداً نسـيباً وسـيطاً فينا ثم نعطى كل واحد منهم سـيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه ليضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه لنسـتريح منه فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم.

فأتى جبرئيل رسـول اللهﷺ قائلاً: لا تبت هذه الليلة في فراشـك الذي كنت تبيت عليه، فلمّا كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسـول اللهﷺ مكانهم قال لعلي بن أبى طالبعليه السلام: نم على فراشي وتسج ببردى هذا الحضرمي فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم.

واسـتطاع الرسـولﷺ أن يختفي عن أعين المشركـين والتحق به في الطريق أبا بكـر فتوجّها الى غار ثـور، ومنـه الى المدينة وخرج من مكة في اليـوم الأوّل من ربيع الأول سـنة (١٣) للبعثة ودخل المدينة في ١٢ ربيع الأوّل.(١٥)

الله سبحانه يتباهى بعليعليه السلام عند ملائكته في ليلة المبيت

أوحى الله سبحانه في تلك الليلة الى جبرئيل وميكائيل أن اهبطا واحفظاه من عدوّه، فهبط جبرائيل وميكائيل فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوّه ويصرفان عنه الحجارة، وجبرئيل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، من مثلك يباهى الله بك ملائكته سبع سماوات، فنزلت هذه الآية على النبيصلى الله عليه وآله.

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ٱبْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَ اللهُ رَؤُفٌ بِالعِبادِ﴾ (البقرة:٢٠٧).[١٦]

نظـرة الى غـزوة بدر

مـن إحـدى الحوادث التي تـم ذكرها في آيات متعـددة في القـرآن[١٧] هي حادثة غـزوة بدر والتي كانت أول حرب عظيمة للمسلمين ضد كفّار قريش حيث شارك فيها الرسولصلى الله عليه وآله بنفسه وكانت قيادة الحـرب بيديه، وقد ضرب المسـلمين في هـذه الحرب ضربة قوية على الأعداء، وجـاء في الآيات (٤٥) و (٤٦) من سـورة الأنفال أوامر نظامية حتى يلتزموا بها المسـلمين أثناء الحرب فكانت سـبباً لانتصار المسـلمين في غزوة بدر والتي إن التزم بها المسـلمين في جميع الحروب سـيكون النصر حليفهم، وسيأتي ذكرها لاحقاً.

هـذا النصر كان عجيباً جداً لأن عدد المسـلمين كان أقل من عـدد المشركين بثلاثة أضعاف، وأيضاً تجهيزاتهـم لم تكـن قابلة للمقارنة مع تجهيزات العدو، فألطف الله عزّ وجلّ بالمسـلمين ونصرهم حيث نقرأ في الآية (٢٦) من سورة الأنفال:

﴿وَاذْكُـرُواْ إِذْ أَنتُـمْ قَلِيـلٌ مُّسْـتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُـونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُـمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾.

حدثت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة وانهزم فيها الأعداء شرّ هزيمة، وهنا نلفت نظركم الى ملخّص لهذه الغزوة البطولية:

بـدر اسـم بئر حفره بـدر بن قريش، وكانت القوافـل التجاريّة تنزل فيه للـتروّى من مائه، وتقع في الجنوب الغربي من المدينة بين مكة والمدينة.

وعلّة إندلاع هذه المعركة أنه في شـهر جمادى الأولى من السـنة الثانية للهجرة وصل خبر الى مسامع النبـيصلى الله عليه وآله مفـاده أنّ كرز بن جابر مع مجموعـة من قريش قد أغار على إبل النبيصلى الله عليه وآله مع أنعام أهل المدينة وسـلبوها وأنزلوا ضرراً فادحـاً بمزارعها، وتوقف فيها ثلاثة أيام فطلبـوه مع مجموعة من أهل المدينة فلم يعثروا عليه، وعندها سمّيت هذه الغزوة ببدر الأولى أو الصغرى.

ومن جانب آخر، فكفار مكة قد صادروا أموال كلّ من هاجر الى المدينة مع النبيﷺ فاشتدّ الضغط الاقتصادي على المسلمين فاتّخذ النبيﷺ عدة تدابير من أجل كسر هذا الحصار الاقتصادي وهو قطع الطريق على قوافل قريش.

فأرسلﷺ (٤٠) رجلاً بقيادة عمّه حمزة للسيطرة على مسير القوافل التجارية وأرسل معهم (٢٠) إيلاً، وعندما وصلوا الى ذلك المحل أدركوا أنّ قوافل قريش يصحبها (٢٠٠) مقاتل مسلح من أجل الحفاظ عليها، فأعلن حمزة الحرب ولكن الكفار اقترحوا الصلح عليه نظراً لعلمهم بشجاعة حمزة، المصلحة في الصلح معهم، ولم تقع الحرب وعرفت هذه السرية بسرية حمزة.

ومضت الأيام وإذا بالأخبار تتوالى على رسول اللهﷺ باستمرار المحاصرة الاقتصاديّة، وأنّ قريش تستعد للحرب مع المسلمين، في هذه الظروف الصعبة وصل الخبر الى رسول اللهﷺ بأن قافلة تجارية كبيرة تتضمن (٢٠٠٠) من الإبل و(٥٠) ألف دينار من البضائع تقترب من المدينة متوجهة نحو مكة ويرأسها أبو سفيان مع (٤٠) محافظاً.

فدعا الرسولﷺ أصحابه بالتّوجه نحو قافلة قريش، فاستعد (٣١٣) نفراً من المسلمين في شهر رمضان من السّنة الثانية للهجرة مع رسول اللهﷺ للخروج من المدينة نحو بدر، وكان عدد المهاجرين (٧٧) نفراً والبقية من الانصار، وكان لديهم (٧٠) من الإبل و(٣) فرساً.

فاطّلع أبو سفيان على ما نوى المسلمون من قيامه عن طريق عيونه، فأرسل رجلاً الى أهل مكة طالباً منهم النجدة، وكان إسم رسول أبى سفيان «ضمضم» فلم يلبث الاّ وخرج معه ألف فارس مسلّح لأجل نجدة قافلة قريش التجارية، وقد علم أبوسفيان بأنّه قبل وصول النجدة إليه ستهجم على قافلته عساكر المسلمين فغيّر مسير قافلته وانحرف الى مسير آخر بعيداً عن أنظار المسلمين، وأَطْلَع زعماء المشركين عن وصول القافلة التجارية بسلام الى مكة، فأراد البعض الرجوع والبعض الآخر أصروا على مواصلة حركتهم للقتال مع رسول اللهﷺ، وكان أبو جهل يميل للقتال، وأخيراً صمّموا على الحرب وعلم الرسول الأكرمﷺ مع (٣١٣) نفراً من أصحابه في بدر بفرار أبى سفيان وقافلته من أيديهم، وقد وصلتهم الاخبار بمجيء عساكر قريش وصناديده الى بدر للقتال.

وفي يوم الجمعة المصادف (١٧) من شهر رمضان كان جيش قريش مع معدات عسكرية كاملة خلف هضبات بدر ولكنّ طرأ أمر جعل من الحرب بينهما حتميّاً وهو:

أنّ أحد عساكر قريش ويدعى اسود المخزومي حينما وقعت عينيه على حوض الماء الذى كان بيد المسلمين أراد أنْ يقوم بأحد أعمال ثلاثة، امّا أنْ يشرب منه أو يقتل من أجله أو يخربه، وحينما وصل مع مجموعة من قريش الى الحوض فقابلهم حمزة مع من معه وضربه على ساقه فقطعها، وعلى الرغم

من ذلك فقد زحف من أجل الوصول للحوض فطعنه حمزة مرة أُخرى في الماء فقتله، فابتدأت المعركة فخرج الى الميدان ثلاث من صناديدهم وشجعانهم باسم عتبه وأخيه شيبة والوليد بن عتبه فنادى عتبة رسول الله ﷺ: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش فبدر لهم ثلاثة شبان الانصار.

فقال لهم عتبة: من أنتم؟ فانتسبوا لهم فقالوا: لا حاجة بنا الى مبارزتكم، إنما طلبنا بنى عمّنا، فقال رسول الله ﷺ للانصار: إرجعوا الى مواقفكم.

فأرسل رسول الله ﷺ عبيدة وحمزة وعلياً عليه السلام الى الميدان فتبارز علي عليه السلام مع الوليد وحمزة مع شيبة وعبيدة مع عتبة، فلم يلبث طويلاً حتى قضى علي عليه السلام وحمزة على خصمهما ولم يستطع عبيدة فساعده علي عليه السلام وتخلّصا من عتبة، وجاء العاص بن سعيد وبارز علياً فقتله، ثُمّ جاء حنظلة ابن أبى سفيان وطعيمة ونوفل الى الميدان فقضى عليهم علي عليه السلام واحداً تلو الآخر.

وأخيراً انتهت المعركة بنصر الاسلام وإندحار قريش، وإستشهاد (١٤) نفراً من المسلمين وقتل (٧٠) نفراً من المشركين مع إسارة (٧٠) آخرين، (٣٥) أو (٣٦) منهم قتلوا على يد سيف الله الغالب علي بن أبى طالب عليه السلام وكان من بينهم زعماء الشرك كأبى جهل والوليد بن عتبة وحنظلة بن أبى سفيان وعتبة وشيبة.[(١٨)]

نعم، أقسم فيها رأس الشرك والكفر، والمحرك الواقعي لمحاربة الاسلام أبوجهل قائد الجيش أن يأتي مع عسكره وينزل الى جانب بدر ثلاثاً، ويقيم الاحتفالات ويقرع بالكؤوس وتغني له المغنيات وينحر البعران ويطعم طعاماً وافراً، ويوصل صوته الى مسامع العالم فرحاً وانتصاراً لسلامة قافلة قريش.

ومن سوء حظه، هزمه جيش الاسلام هزيمة نكراء ونال جزاءه الأتعس على يد راعي عجوز ضعيف وهو عبدالله بن مسعود، وقطع رأسه من بدنه وربطه بحبل وأخذ يجّره الى رسول الله ﷺ، فشربوا بدل الخمور كؤوس المنيّة، وناحت عليهم النائحات بدلاً عن المغنيات.

ستة أوامر للانتصار

نزلت من الله العلي القدير آيات في هذا الموضوع أشارت فيها الى ستة أوامر مهمّة للمسلمين، واستطاعوا أن يهزموا ألد أعدائهم هزيمة نكراء، ويفرّقوا جمعهم بالتزامهم بهذه الأوامر والعمل بها، ونحن اليوم لو تمسّكنا بها لتغلبنا على أعدائنا.

كانت الآيات النازلة هي: الآية (٤٥) و(٤٦) و (٤٧) من سورة الانفال.

﴿يا أيّها الذّينَ آمنوا اِذا لَقيتُم فئةً

١- فاثبتُوا
٢- واذكُروا اللهَ كَثيراً لَعَلّكُمْ تُفلحُونَ
٣- وأطيعوا الله ورسوله
٤- ولا تنازعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
٥- واصبرُوا إنّ الله مع الصّابرين
٦- ولا تَكُونُوا كالذّين (أبي جهل وأعوانه) خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِم (الى بدر) بَطَراً ورِئاءَ (غرور وأنانية) النّاسِ وَيَصُدّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط﴾.

غزوة أحـد في القرآن

تختص الآيات من (١٢١) وحتى تقريباً لآخر سورة آل عمران في القرآن بغزوة أحد، وهذا الاختصاص البالغ بغزوة أحد والذي يصل الى مئة آية دلالة على أن لتلك الغزوة دروس تعليمية مهمة جداً للمسلمين في كل عصر والتي إن أخذوها بعين الاعتبار فسوف توجب عزّتهم ورفعتهم.

معالم غـزوة أحـد

نزلت على المشركين في غزوة بدر ضربات قاصمة ومقتل العديد من أبطالهم بيد المسلمين، فصمّموا على أن يعدّوا العدّة الكاملة انتقاماً من المسلمين وتحرّكوا نحو المدينة، فكانت عِدّتُهم خمسة الآف مقاتل غير النساء والغلمان مع عُدّة كاملة مجهّزة للحرب علاوة على إستمدادهم من مختلف القبائل لمساندتهم، وهم يرددون شعار: الإنتقام الإنتقام.

إستقر هذا الجيش المجهّز بأنواع الاسلحة والمعدّات يوم الخميس الخامس من شوال للسنة الثالثة من الهجرة الى جانب جبل أُحُد (على بعد فرسخ واحد من المدينة).

بقى النبي صلى الله عليه وآله يوم الجمعة في المدينة وأقام للنّاس صلاة الجمعة، ودعاهم في خطبتيها الى الجهاد والدّفاع عن بيضة الاسلام، ثم جهّز جيشاً قوامه ألف مقاتل، وتحرّك من المدينة نحو أُحد، وفي أثناء المسير أحسّ بمؤامرة من المنافق عبد الله بن أبى سلول حيث رجح البقاء في المدينة فرجع مع ثلاث مائة من أعوانه الى المدينة، وأخيراً ورد النبي صلى الله عليه وآله مع (٧٠٠) مقاتل الى أرض أُحُد، وإستقر الى جانب الجبل، ثم درس الموضوع عسكريّاً فرأى الثغرة الموجود في قمة الجبل، فعيّن «عبدالله بن جبير» مع خمسين من الرّماة للحفاظ على تلك الثغرة، وأكّد عليهم أن لا يبرحوا أماكنهم وخنادقهم حتى نهاية الحرب.

في اليوم السّابع وبعد صلاة الصبح، برز عدد من صناديد العدوّ الى الميدان وطلبوا المبارزة، فخرج

لهـم أمير المؤمنين عليعليه السلام وأخذ يقاتلهم حتى هلكوا، وفي هذه الاثناء حمى الوطيس وإلتقى الجيشـان، وكان النبيصلى الله عليه وآله وسلم وعليعليه السلام وحمزةعليه السلام في مقدمة جيش المسـلمين يقاتلون العدو، ولكن كان سـبب إنهزام جيش المسلمين هو إستشهاد عدد من المقاتلين البارزين أمثال: حمزة عمّ الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وسلم، ومصعب بن عمير، وعبدالله بن جحش، وحنظلة و......

شائعة قتل الرسولصلى الله عليه وآله وسلم ورسالة الله سبحانه

خـلال الحـرب وفي القتال الشـديد الذى دار في أُحُـد قام أحد المشركين ويسـمى «عمرو بن قميه» برمي رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشـجه في وجهه فأثقله، وتفرق عنه أصحابه، وأقبل يريـد قتلـه، فـذب مصعب بـن عمير والذى كان يشـبه الرسـولصلى الله عليه وآله وسلم كثـيراً عن الرسـولصلى الله عليه وآله وسلم حتى قتل مصعــب بـن عمـير، قتله ابن قميه فرجـع وهو يرى أنه قتل رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وقـال: إنى قتلت محمداً، وصاح صائح، الا أن محمداً قد قتل، وانتشرت هذه الشائعة.

أدّت هذه الشائعة إلى تضعيف قلوب المسلمين وإرعابها وانتشرت الشائعة في المدينة فحزن الرجال والنسـاء وبكـوا، حتّى أن بعض المسـلمين لاذوا بالفـرار من الميدان، وهنا نزلت الآيـة (١٤٤) من آل عمران وهى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُـولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُـلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.(١٩)

العوامل الأربعة التي سببت النكسة

من بين العوامل التي سـببت نكسـة المسـلمين في غزوة أُحُد، العوامل الاربعـة التالية المهمة والتي يجب على المسلمين أن يتوجهوا إليها:

١- مؤامرة المنافق عبدالله بن أبى سلول، وفي تلك الظروف الحسّاسة وبسبب انسحابه تقهقر ثلث من معسـكر رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة، مما ادّى الى نشـوء الفرقة الّتي تعتبر من العوامل المؤثرة في تحطيم معنويات المسلمين واتحادهم في القتال.

فعليـه، يجب على المسـلمين أن يعرفـوا المنافقين ولا يتّكلـوا عليهم لأنّهم أصدقـاء بالظاهر يدّعون الانسـان في وسـط الطريق، فهم مع الاسـلام إذا أمّن لهم أهدافهم واذا أحسّوا بالخطر طعنوا الاسلام من ظهره.

٢- عدم مراعاة الأوامر الّتي صدرت إليهم من النبي صل الله عليه وآله وسلم، لأن عـدم الالتزام والفوضى من العوامل الانهزامية، في السـوق الجيشي من مواقعهم القتالية، كما اقدم عليه الذين عينهم

رسـول الله ﷺ لصيانـة ثغـر الجبل كي لا يطعن العدو المسـلمين مـن الخلف، فدعاهـم الحرص لجمع الغنائم الى ترك مواقعهم، فكانت النتيجة ما حصل.

فعليـه، يجـب أن لا نتسـاهل ولا نـتـهـاون في الالـتـزام بالقوانين الحربية والانضباط العسـكري وتنفيذ الأوامر الّتي تصدر من قائد المسـلمين بحذافيرها بروح معنوية عالية والإخلاص لله سـبحانه وتعالى.

٣- بـثّ الاشـاعات لهـا أثر عظيم في الهزيمة، حيث أشـاعوا بين المسـلمين أنّ محمـداً ﷺ قُتل، ففرّ المسلمون مذعورين، فعلينا أن لا نصغي الى إشاعات الأعداء الّتي تستخدمها في الحرب النفسية.

٤- عدم إسـتقامة المسـلمين وثباتهم كان من العوامل المهمة للنكسـة، إلاّ الذين امتحن الله قلوبهم وإيمانهم فثبتوا مع الرسـول الأكرم ﷺ أمثال الإمام علي عليه السلام ومقداد وأبي دجانة، فهل تعلم أنّ إسـتقامة هـؤلاء الثلّـة المؤمنـة وتفانيهـم وتضحياتهـم كـم كان لها مـن أثر عظيـم في عـودة الـروح القتالية الى المسلمين؟

حادثة حمـراء الأسـد

من إحدى الحوادث التي حصلت في السنة الثالثة للهجرة بعد غزوة أُحُد هى حادثة «حمراء الأسد» والّتـي أشـير إليهـا في القرآن في الآية (١٧٢) وحتى (١٧٤) من سـورة آل عمـران، وفي الآية (١٧٢) قدّرهم الله عزّ وجلّ ومجّدهم حيث يقول:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

معالم عن غـزوة حمـراء الأسـد

لـما انتهـت غزوة أُحُد سرعان ما أمر أبو سـفيان جيشـه بالعودة إلى مكة وعندمـا وصل الجيش إلى منطقة تسـمى «الروحاء» وهناك أحسـوا بالندم الشـديد على انصرافهم عن المسـلمين وتلاوموا، فبلغ ذلـك الخبر رسـول الله ﷺ فـأراد أن يرهـب العدو ويريهـم من نفسـه وأصحابه قوة، فنـدب أصحابه للخروج في طلب أبى سفيان، وأنتدب عصابة منهم فخرج المسلمين لمحاربة جيش المشركين.(٢٠)

ونزلت الآيات (١٧٢) وحتى (١٧٤) من سورة آل عمران في هذه الحادثة وهى:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾.

مجروح يحمل مجروحا آخر

قال رجلا من أصحاب الرسولﷺ والذي كان شهد أُحُداً: شهدت أُحُداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلنا: لا تفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ والله ما لنا دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً من أخي، فكنت إذا غلب حملته عقبة، ومشى عقبة حتى بلغنا مع رسول الله ﷺ حمراء الأسد وهو من المدينة على ثمانية أميال.(٢١)

«معبد الخزاعي» وإخباره أبو سفيان

بلغ خبر جيش الاسلام الي مسامع العدو، وخاصةً أنهم سمعوا بأن حتى المجروحين قد التحقوا بالجيش، وهذا الخبر الذي يدل على مدى مقاومة المسلمين، أدخل الرعب في نفوس العدو، وفي هذه الاثناء مرّ «معبد الخزاعي» والذي كان من المشركين وكان متجهاً من المدينة الى مكة على رسول الله ﷺ بحمراء الأسد فرأى جيشه ثم خرج من عنده حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وأجمعوا الرجعة الى رسول اللهﷺ، وقالوا: قد أصبنا جل أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم، فلما رأى أبوسفيان معبدا قال: ما وراءك يا معبد؟

قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم ما لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟

فقال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم، قال: فوالله إني لأنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت أبياتاً فيه من شعر، قال: وما قلت؟ فقرأ عليه أبيات من الشعر تعبّر عن جيش رسول الله ﷺ ومدى عظمته وهنا قرر أبو سفيان بالانصراف الى مكّة بجيشه.(٢٢)

عليعليه السلام وأسره لرجلان وهو مجروح

كما قلنا: أمر الرسولﷺ المسلمين وحتى المجروحين بالخروج الى المشركين واللحاق بهم حتى يتراجع العدو ويصرفونهم عن عودتهم الى المسلمين، وهذا الخروج كان بمثابة مناورة حتى يدخل الرعب والوحشة في قلوب العدو.

وأيضاً قام عليعليه السلام بلحاق العدو وخرج مع الرسولﷺ الى «حمراء الأسد» بالرغم من جروحه

الكثيرة في جسمه، وبقى هناك لعدة أيام وعند العودة أسر رجلان من المشركين ويسميان: معاوية بن المغيرة وأبو عزّة الجمحى وأخذهما الى المدينة.

وكان أبو عزّة أسر يوم بدر فأطلقه النبيﷺ لأنه شكى إليه فقرا وكثرة العيال، فأخذ رسول اللهﷺ عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله،ولكنه خالف العهد وخرج معهم يوم أُحُد، وحرض على المسلمين، فحكم عليه الرسولﷺ بالاعدام، وعندما أتى به رسول اللهﷺ قال: يا محمد امنن عليّ، قال النبيﷺ: «لا يُلدَغُ المؤمن من جُحرٍ مرّتين»، ثم أمر بقتله.[٢٣]

تجديد روحيّة الجيش واللحاق بالعدو

عندما بلغ أبي سفيان بخبر خروج جيش الاسلام ولحاقهم وعلم أن جيش الاسلام لديهم الاستعداد التام للمحاربة وأنهم جاءوا إلى«حمراء الأسد» قرر بأن يفرّ مع أصحابه الى مكّة.

ولكنه تخيّل أنه يستطيع أن يرعب المسلمين فعندما رأى نعيم بن مسعود الاشجعى في وسط الطريق قال له: أين ذاهب؟

قال نعيم: ذاهب الى المدينة لشراء القمح.

فقال له أبو سفيان: يا نعيم هل لك أن أضمن لك عشر قلائص وتجعل طريقك على حمراء الأسد فتخبر محمداً أنه قد جاء مدد كثير من حلفائنا من العرب: كنانة وعشيرتهم والاحابيش، وتهوّل عليهم ما استطعت، فلعلهم يرجعون عنا؟ فأجابه إلى ذلك، وقصد حمراء الأسد فأخبر رسول اللهﷺ بذلك، وقال: إن قريشاً يصبحون بجمعهم الذي لا قوام لكم به فاقبلوا نصيحتى وارجعوا، فقال أصحاب رسول اللهﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، إنا لا نبالى بهم.

فعاد رسول اللهﷺ بوحي من الله عزّ وجلّ بواسطة جبرائيل الى المدينة، وهرب العدو إلى مكة نتيجةً للرعب الذي دخل قلوبهم والوحشة من المسلمين.[٢٤]

غزوة الاحزاب (الخندق)

جاءت في سورة الاحزاب سبعة عشر آية (من الآية ٩ وحتى ٢٦) عن غزوة الاحزاب ومعارضة المنافقين، وفي النهاية أدّت الامدادات الغيبية والتدابير الشجاعة للرسولﷺ وبطولات الامام عليعليه السلام في غزوة الخندق إلى هزيمة العدو هزيمة نكراء، وبعد غزوة الخندق، وبأمر من الرسولﷺ طرد اليهود المعاندين من أرض الحجاز.

وكانت هذه الحادثة أكبر وأصعب الامتحانات التي مرّت على المسلمين، (كما يبين هذا المطلب

الآية الحادية عشر من سورة الاحزاب)، وفي النهاية انتصر المسلمين نصراً عظيماً وابيضّت وجوههم، وبقى الذلّة وسواد الوجه للمشركين والمنافقين المعاندين الى الابد.

وجاء ذكر هذا الانتصار والامدادات الغيبية في الآيتين (٩)و(١٠) من سورة الاحزاب وهي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾.[٢٥]

وكانت لغزوة الاحزاب أبعاد واسعة حيث قال الرسولﷺ: «برز الايمانُ كُلّهُ إلى الشرك كلّه».[٢٦]

بلغ عدد العدو عشرة آلاف رجل مع تجهيزات كثيرة، ولكن كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل مع تجهيزات قليلة.

وكان حفر خندق بعرض وطول وعمق كبير فوق طاقة المسلمين، وفي نفس الوقت انتصر المسلمون بكل فخر وعزة في هذه الحادثة.

حصلت حوادث متعددة والتي أهمها هي غزوة الخندق، وحادثة الامدادات الغيبية والطوفان وقلع وقمع اليهوديين المعاندين والناقضين للعهد وللتوضيح نلفت نظركم الى تلك الحوادث الثلاثة.

١- غزوة الخندق وبطولات عليعليه السلام والتي ليس لها مثيل

وهي غزوة الاحزاب وهي أكبر حادثة وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة من الهجرة، عندما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج قريش من مكة بعشرة آلاف من مختلف القبائل لغزوة المسلمين، فأمر رسول اللهﷺ بعقد جلسة لدراسة الأمر فاقترح إليه سلمان المحمدي بحفر الخندق حول المدينة، فاستحسن رسول اللهﷺ اقتراحه فأمر المسلمين بحفر الخندق وبدأ هو بنفسه في العمل معهم، وقبل أن تقترب جيوش قريش من أبواب المدينة فرغ رسول اللهﷺ من حفر الخندق، وكان عرضه بشكل لا يستطيع الفارس الماهر والمجرّب الشّجاع من أن يجتازه، وقيل: إنّ طوله إثنى عشر ألف ذراع تقريباً (ستة كيلو مترات) وذلك لأن المسلمين كانوا ثلاثة آلاف نفر، وكلّف كلّ عشرة بحفر أربعين ذراعاً، فعمل المسلمون ليل نهار حتى استطاعوا أن يتمّوا هذا الخندق العظيم.

ولم يَدُم الوقت طويلاً حتى حاصر قوى الأعداء واليهود وناقضوا العهود المدينة، فتعجبوا من وجود الخندق، ولم يستطيعوا أن يجتازوه، فبقيت عساكرهم، خلف الخندق شهراً كاملاً، حتى استطاع

أن يعبره عدد قليل منهم، لأنه إذا أراد أحدهم أن يجتاز الخندق رماه المسلمون بالحجارة فيتراجع من مكانه.

ولكن وبعد محاولات شتى، استطاع خمسة من أبطال قريش أنْ يعبروا الخندق من مضيق ضيق، وأخذوا يجولون بين الخندق وجبل سلع مقر جيش الاسلام يطلبون من المسلمين البراز، وكان هؤلاء الخمسة هم:

- عمرو بن عبد ود
- عكرمة بن أبى جهل
- هبيرة بن وهب،
- نوفل بن عبدالله
- ضرار بن خطاب.

وجعل عمرو بن عبد ود (الذي هو أشجع العرب ويعادل بألف فارس)، يدعو الى البراز ويعرض بالمسلمين ويقول:

ولقد بُحِحْتُ من النداء بَجمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبارِزِ ...

وفي كلّ مرّة يقوم عليّ بن أبي طالبعليه السلام ليبارزه فيأمر رسول اللهﷺ بالجلوس إنتظاراً منه ليتحرك غيره، والمسلمون كأن على رؤوسهم الطّير، لمكانة عمرو بن عبد ود والخوف منه وممن معه ومن ورائه.

فلما طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام عليّعليه السلام قال رسول اللهﷺ إدن مني فدنا منه فنزع عمامته من رأسه وعمّمه بها وأعطاه سيفه ثُمّ دعى له قائلاً: اللّهم إنّكَ أخذتَ مِني عُبيدة بن الحارث يومَ بدرٍ، وحَمْزة بن عبد المطلب يومَ أُحد، وهذا أخي عليّ بن أبي طالب ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.

فلما برز الامام عليعليه السلام قالﷺ: برز الايمان كلّه الى الشّرك كلّه.

فلما انتهى أمير المؤمنينعليه السلام إليه قال له: يا عمرو إنك كنت في الجاهلية تقول لا يدعوني أحد الى ثلاث واللات والعزى إلاّ قبلتها أو واحدة منها؟

قال عمرو: أجل.

قالعليه السلام: فإني أدعوك لشهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله وأن تسلم لربّ العالمين.

قال عمرو: يا بن الاخ أخّر هذه عني .

فقال له أمير المؤمنينعليه السلام: أما أنها خير لك لو أخذتها، ثُمّ قال: فها هنا أخرى، ترجع من حيث جئت.

قال عمرو: لا تحدث نساء قريش بهذا أبداً.

ثُمّ قال عليه السلام: فها هنا أخرى، تنزل فتقاتلني؟

فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ما كانت أظنّ أنْ أحداً من العرب يرومني عليها إني لأكره أنْ أقتل الرجل الكريم مثلك وقد كان أبوك لي نديماً.

قال عليّ عليه السلام: لكنّي اُحبّ أنْ أقتلك فانزل إن شئت؟ فأسف عمرو ونزل وضرب وجه فرسه حتى رجع.

فقال جابر عليه السلام: فثارت بينهما فترة، فما رأيتهما فسمعت التكبير تحتها فعلمت أنْ عليّاً عليه السلام قد قتله، فإنكشف أصحابه حتى طفرت خيولهم الخندق فتبادر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله حيث سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم: قتلة أجمل من هذا ينزل اليّ بعضكم أُقاتله، فنزل إليه أمير المؤمنين عليه السلام فضربه حتى قتله ولحق هبيرة فأعجزه وضرب قربوس سرجه وسقطت درع كانت عليه وفرّ عكرمة وهرب ضرار بن خطاب.

فكان قتل هؤلاء الأبطال بيد سيف الاسلام الخالد عليّ بن أبي طالب عليه السلام من جهة وهبوب الرّياح على معسكر الاحزاب وشدة البرد وقلّة المؤونة من جهة اُخرى أدّت الى إنسحابهم مع عشرة آلاف نفر يجرّون وراءهم أذيال الخيبة والهزيمة.(٢٧)

وجاء أمير المؤمنين عليه السلام برأس عمرو بن عبد ود الى النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وألقاه أمامه وفي هذه الاثناء تقدّم أبوبكر وعمر الى عليّ عليه السلام وقبلا رأسه وباركا له ذلك.(٢٨)

قمّة الفضيلة في ضربة عليّ عليه السلام

عندما عاد عليّ عليه السلام منتصراً الى حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله بالفرح وقال في حقّ فضيلة هذه الضّربة وانتصار عليّ عليه السلام: ضربةُ عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين.(٢٩)

وورد بتعبير آخر عنه صلى الله عليه وآله:

لو وزن اليوم عملك بعمل جميع أمّة محمّدٍ، لرُجّح عملك على عملهم.

ثم قال: وذاك إنّه لم يبقى بيت من المشركين إلا وقد دخله ذلّ بقتل عمرو، ولم يبقى بيت من المسلمين إلا وقد دخله عزّ بقتل عمرو.(٣٠)

خلاصة المطلب لو لم يتقدم عليّ عليه السلام الى الميدان، ما كان في المسلمين من له جرأة لبراز عمرو بن عبد ود، عندئذٍ كان جيش الاعداء يدخل المدينة ويهزم جيش الاسلام ويبيدهم، ولكن عندما قتل عمرو

بن عبد ود بطل الاعداء بيد عليّعليه السلام وسيفه إنكسرت حلقة محاصرة الاعداء للمدينة، وبذلك قصم الله ظهر الأعداء وأحرق قلوبهم وهزمهم ببركة ضربة عليّعليه السلام.

فلولا جرأة وإقدام عليّعليه السلام على الأعداء لكان عبور جيش الكفر خط جبهة المسلمين قطعيّاً ومسلّماً، وفي هذه الصّورة لقضى جيش الكفر على كلّ شيءٍ وأهلك الحرث والنسل، وحسب المعادلات العسكرية والدّراسات الدقيقة صوّر النّبيّ الأكرمﷺ فضيلة ضربة عليّعليه السلام للمسلمين واعتبرها أفضل من عبادة الثّقلين.

٢- الطوفان المخرّب أو الامداد الغيبي الالهي

كثرت الاعداء والذين شكّلوا من أحزاب مختلفة وهم يحاصرون المدينة حصاراً شديداً لمدة شهر، وكان المسلمين تحت ضغطٍ شديد من قلة الطعام، الى حدّ أنه جاء في بعض الروايات أن الرسولﷺ ظل جائعاً لمدة ثلاثة أيام عندما كان مشغولاً بحفر الخندق، وجاءته فاطمة الزهراء سلام الله عليها بقطعة صغيرة من الخبز الجاف.[٣١]

وأصبح أهل المدينة في همٍّ وغم وبلغ بهم من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله، وقام رسول اللهﷺ فصلى ما شاء الله من الليل ودعا ربّه حتى يمددهم بالامدادات الغيبية لرفع عذابهم وآلامهم.

ثم توجه للمسلمين وقال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنة؟

فلم يقم منهم أحد مما بهم من الخوف والجهد والجوع، فلما لم يقم أحد دعا حُذيفة بن اليمان والذي كان منافقاً وقال له: اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع.

فأجابه حذيفة، وخرج من المدينة والحصار والخندق ودخل بين جنود قريش، فإذا ريح الله وجنوده يفعل بهم ما يفعل، ما يستمسك لهم بناء ولا يثبت لهم نار، ولا يطمئن لهم قدر، وهو كذلك حتى خرج أبو سفيان من رحله، ثم قال: يا معشر قريش لينظر أحدكم من جليسه.

قال حذيفة: فبدأت بالذي عن يميني فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان، (وبهذا الترتيب لم يعرفه أحد وبأنه جاسوس جيش الاسلام).

وهنا اطمئن أبو سفيان بأنه ليس هناك جاسوس بينهم وعاد براحلته وقال: يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام هلك الخف والحافر، وأخلفتنا بنو قريظة، وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء.

ثم عجل فركب راحلته، وإنها لمعقولة، ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها.

قال حذيفة: قلت في نفسي: لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً فوترت قوسي، ثم

وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تحدثن شيئاً حتى ترجع، فحططت القوس ثم رجعت الى رسول الله ﷺ وهو يصلي، فلما سمع حسّي فرج بين رجليه فدخلت تحته وأرسل علي طائفة من مرطه[٣٢]، فركع وسجد، ثم قال: ما الخبر؟ فأخبرته.

ثم دعا رسول الله ﷺ على الاحزاب وقال: اللهم أنت منزل الكتاب، سريع الكتاب، اهزم الاحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم.[٣٣]

وبهذا الترتيب فرق الله عزّ وجلّ وهزم الأعداء بالامداد الغيبي والذي كان ريح وطوفان.[٣٤]

وفضّلوا الفرار على القرار وبصورة كلية انهزم جنود الاحزاب.

٣- ردّة فعل الرسول ﷺ الشديدة مع اليهود النّاقضين للعهد

من الحوادث المهمة التي ذكرها القرآن في آيات متعددة كالآية (٥٦) وحتى (٥٩) من سورة الانفال، والآية (٧٨) وحتى (٨٢) من سورة المائدة هي حادثة نقض العهد لجميع طوائف اليهود وردّة فعل الرسول ﷺ الشديدة معهم.

قال الله عزّ وجلّ في الآية (٨٢) من سورة المائدة:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾.

بيان ذلك: من المقاطع الحسّاسة في تاريخ رسول الاسلام والتي انعكس فيها نقض العهد والخيانة وعدم وفاء اليهود وتدل على مدى لجاجة وعناد ونفاق اليهوديين بالنسبة الى المسلمين هي قصة نقض عهد جميع طوائف اليهود مع الرسول ﷺ في غزوة الأحزاب وغيرها.

لما هاجر الرسول الاكرم ﷺ الى المدينة، كانت تسكن أطراف المدينة طوائف مختلفة من اليهود، والتي تتشعب بصورة كلية الى ثلاثة طوائف وهم:

- طائفة بني قينقاع.
- طائفة بني النضير.
- طائفة بني قريظة.

في البداية دعا الرسول ﷺ جميع تلك الطوائف والتي كانت تعلم بأوصاف نبي الاسلام والتي جاءت في التوراة، الى الاسلام، ولكنّهم ردّوا دعوته، فرأى الرسول ﷺ بأن وجود تلك الطوائف من اليهود في أطراف المدينة، سوف يسبب أضرار خطيرة للمسلمين مع التوجه الى الحروب الآتية وظروف معيشة المسلمين، لهذا عقد معهم عهدٍ محكم حتى لا يعاونون العدو في الحوادث والحروب وليس ذلك فقط بل أخذ منهم العهد بأن يساعدوا المسلمين في الحوادث.

وبالرغم من أنهم وافقوا على العهد إلا أنهم عندما حان وقت الوفاء بالعهد نقضوا عهدهم والتحقوا بالعدو، والعجيب أنه لا يوجد في التاريخ نموذج واحد لوفاء اليهود بعهودهم.[٣٥]

ولتوضيح المطلب يكفي هنا أن نبيّن باختصار نقض عهد كل طائفة من تلك الطوائف.

نقض عهد بني قينقاع وجزائهم

يبلغ عدد يهود بني قينقاع بصورة عامة ستمائة رجل وهم من أشجع الرجال اليهوديين، وكانوا يسكنون أطراف المدينة، ولما وقعت غزوة بدر بين المسلمين والكفّار، وفي هذه الاوضاع الخطيرة والتي كانت النقطة الحسّاسة في الوفاء بالعهد، نقضوا العهد (وقاموا بإلحاق الضرر بالمسلمين ومساعدة العدو).

فغضب رسول اللهﷺ لنقضهم العهد وأمر المسلمين بمحاربتهم ليريهم جزاء أعمالهم وكان ذلك في منتصف شهر شوال حيث كان قد مضى ٢١ يوما من واقعة بدر.

ولم يستطيعوا مقاومة عسكر الاسلام، فالتجأوا الى قلاعهم وظلّوا محاصرين لمدة خمسة عشرة يوماً حتى نزلوا على حكم الرسولﷺ.

أمر النبيﷺ بأن يكتفوا ويوثقوا، ولكن توسّط لهم عبدالله بن أبي سلول والذي كان قد عاهد وحلف باليمين، وأصرّ وألحّ في وساطته، وأخيراً أمر النبيﷺ بإخلائهم أطراف المدينة والذي كان يعلم بأن وجودهم في أطراف المدينة سيشكّل خطراً على الاسلام.

فأجبر يهود بني قينقاع أن ينزلوا على حكم الرسولﷺ وهاجروا، ورحلوا مع نسائهم وأولادهم الى منطقة تسمى «أذرعات الشام»، بعد ذلك أخذ الرسولﷺ أموالهم كغنيمة.

القرار الخطير ليهود بني نضير ونقضهم العهد

لم تمض أشهر على غزوة بدر، حتى خرج الرسول الأكرمﷺ مع أصحابه الى يهود بني نضير يستعينهم في ديّة القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما «عمرو بن أمية الضمري» وكان بين بني النضير وبين عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله عليه وآله وسلم يستعينهم في الديّة، قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه، ورسول اللهﷺ الى جانب جدار بيوتهم قاعد، وقرّروا بأن يقتلونه، فقال عمرو بن الحجاش: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم.

فجاء جبرئيلعليه السلام فأخبرهﷺ، فخرج راجعاً الى المدينة، وقام أصحابه في طلبه حتى دخلوا المدينة

وأقبلوا حتى انتهوا إليه، فسألوه عن علّة رجوعه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر.

فبعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة إليهم وأمرهم بالجلاء وقال: لا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجلتكم عشراً (أي عشرة أيام)، فمن رئي بعد ذلك أضرب عنقه.

فخاف بني نضير من تحذير الرسول ﷺ الشديد فمكثوا أياماً وقرروا بأن يهاجروا، ولكن أرسل المنافق «عبد الله بن أبيّ» إليهم وقال: لا تخرجوا، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصونكم فيموتون من آخرهم ويمدكم قريظة وحلفاؤهم من غطفان، فطمع «حي بن أخطب» رئيس يهود بني نضير فيما قال ابن أُبيّ وبعث الى النبي ﷺ وقال: إنا لا نخرج فاصنع ما بدا لك.

فلما علم رسول الله ﷺ برسالته كبّر وكبّر أصحابه، وقال لعليّ عليه السلام: ارفع رايتك، وتقدم الى بني نضير.

وبناءاً على أمر النبي ﷺ أخذ عليّ عليه السلام الراية وتقدم الى بني نضير وجاء رسول الله ﷺ وأحاط بحصنهم.

ولم يأتهم ابن أُبيّ حيث خالف وعده لهم وغدر بهم، وأيضا اعتزلتهم بني قريظة فلم تعنهم بسلاحٍ ولا رجالٍ، فأمر النبي ﷺ بقطع نخلهم وحرقهم، وكانت النخلة من نخيلهم ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف.

فجزع بني نضير من ذلك وقالوا للرسول ﷺ: يا محمد، إن كان لك هذا فخذه، وإن كان لنا فلا تقطعه، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا محمد، نخرج من بلادك فأعطنا مالنا، فقال: لا ولكن تخرجون ولكم ما حملت الابل، فلم يقبلوا ذلك فبقوا أياماً ثم قالوا: نخرج ولنا ما حملت الابل، فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه.[٣٦]

فخرجوا على ذلك، ووقع قوم منهم الى فدك ووادي القرى، وخرج قوم منهم الى الشام، وأصبحت أموالهم ملكاً لله تعالى ولرسوله ﷺ ولم يصل منها شيئاً الى جيش الاسلام.[٣٧]

يهود بني قريظة ونقضهم للعهد ومن ثم ذلّتهم

في البداية دخل يهود بني قريضة على الاسلام والمسلمين عن طريق الصلح والاصلاح (ولكنه كان ظاهريّاً) وعندما حدثت غزوة الخندق التحقوا بالعدو وتبدّل صلحهم وصفائهم الى العداوة والبغض.

وجاء حي بن أخطب (رئيس يهود بني نضير) الى مكة وقام بتحريض قريش وطوائف العرب على رسول الاسلام ﷺ والاسلام والمسلمين.

وقام أيضا بنفسه وذهب الى يهود بني قريظة وحرّضهم بشتى الوسائل من وعد ووعيد ضد الاسلام، وقبل رئيسهم «كعب بن أسد» على نقض العهد والحرب ضد الرسولﷺ بشرط أن يشارك بنفسه في الحرب.

فاتجه جيش الأحزاب والذي شكّل من أحزاب مختلفة الى المدينة للقضاء على الرسولﷺ والمسلمين، وانضمّ يهود بني قريضة إليهم، ولم تمض فترة حتى حاصروا المدينة.[٣٨]

هؤلاء اليهود لمّا رأوا أنفسهم أقوياء نقضوا جميع العهود ونسوها وبدأوا بسبّ وشتم الرسولﷺ والمسلمين.

انتهت غزوة الاحزاب بانتصار المسلمين، فأمر الله عزّ وجلّ الرسولﷺ بأن يأتي الى يهود بني قريظة مع جيشه ويحاربهم، فدفع اللواء الى عليّعليه السلام وانطلقوا الى قلاع بني قريظة.

وحاصرهم عليّعليه السلام خمساً وعشرين يوماً حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرّعب، وكان حيّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان من غزوة الخندق، فلما أيقنوا أن رسول اللهﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد رئيس بني قريظة: يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخيّروا أيها شئتم، قالوا: ما هنّ؟

قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم، فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم علي هذا فهلمّوا فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج الى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً يهمّنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، فإن نهلك لم نترك وراءنا نسلاً يهمنا، وإن نظهر لنجدن النساء والأبناء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟ فلا خير في العيش بعدهم، قال: فإذا أبيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا فلعلنا نصيب منهم غرة، فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ.

فبعثوا الى رسول اللهﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة عبد المنذر[٣٩]، نستشيره في أمورنا، فأرسلهﷺ إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه الصبيان والنساء يبكون في وجهه، فرقّ لهم، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده الى حلقه إنه الذبح.

فقبل يهود بني قريضة بأمر رسول اللهﷺ، وجاءت قبيلة أوس (لصداقتها مع بني قريضة) الى رسول اللهﷺ وتشفّعوا لهم، فقبل الرسولﷺ وبني قريظة أن يحكم فيهم رجلاً، فاختاروا سعد بن معاذ والذي كان من قبيلة أوس، ورضي بذلك رسول اللهﷺ ونزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأمر

رسول الله ﷺ بسلاحهم، فجعل في قبّة وأمر بهم فكتفوا وأوثقوا وجعلوا في دار أسامة، وبعث رسول الله ﷺ الى سعد ابن معاذ فجيء به، والذي كان قد أصيب بجروح في غزوة الخندق، فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم، ويسبى ذراريهم ونسائهم ويغنم أموالهم، فكبّر رسول الله ﷺ وقال لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله عزّ وجلّ من فوق سبعة أرقعة.(٤٠)

فقتل رسول الله ﷺ مقاتليهم، وكانوا فيما زعموا ستمائة مقاتل وقيل سبعمائة، وقيل أكثر، عدا قلّة قليلة منهم كانوا قد آمنوا من قبل، ورجل واحد هرب وهو «عمر بن سعدي»، وجميع النساء أُسرن ما عدا امرأة واحدة، قتلها وهي آسية، وقتلت لأنها طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتلته وكان ذلك قصاصا على فعلتها.

وبهذا الترتيب قُضي على اليهود وبقى يهود خيبر فقط، فقام الرسول ﷺ بعد ما قضى على يهود بني قريظة بتجهيز جيشاً لمحاربة يهود خيبر وأتوهم، وحاصروا حصون يهود خيبر لعدّة أيام ثم دفع اللواء الى عليّ عليه السلام واتجهوا الى حصونهم وقلعوها من مكانها وقتل «مرحب» والذي كان قائد اليهود وأصبحت الحصون تحت تصرف الاسلام.

ثم قام الرسول ﷺ بطرد باقي اليهود الموجودين في المدينة وعلى أطرافها.(٤١)

قبول توبة أبي لبابة

كما قلنا من قبل أن الرسول ﷺ جعل الحكم بينه وبين يهود بني قريظة بيد سعد بن معاذ، فحكم سعد بن معاذ بأن يعدم جميعهم وكان هذا الحكم سرّ نظامي، والذي كان يجب أن لا يعلن عنه الى حين إجرائه ولكن أحد المسلمين ويسمى أبو لبابة بن عبد المنذر أفشى هذا السرّ بالاشارة وخان الأسرار النظامية لجيش الاسلام.

بيان ذلك: لم يقبل يهود بني قريظة حكم سعد بعد إعلانه للحكم، ولمعرفتهم السابقة بأبي لبابة، بعثوا الى رسول الله ﷺ بأن يرسل إليهم أبا لبابة لاستشارته.

فبعث إليهم الرسول ﷺ أبا لبابة للمشورة، فاجتمعوا حوله اليهود وانتحبوا في وجهه يبكون، فرقّ لهم قلبه، ومن جملة ما قالوا له: هل نقبل بحكم سعد بن معاذ؟

قال أبو لبابة: نعم، وأشار بيده الى حلقه إنه الذبح.

وبهذا الترتيب أفشى أبو لبابة أحد الأسرار النظامية لجيش الاسلام - وذلك بالاشارة - فأصبح خائناً لله وللرسول ﷺ وقد نزلت الآيات (٢٧) و (٢٨) من سورة الانفال في توبيخه.

وفي نفس الوقت أحس أبو لبابة بخطئه وخيانته فتاب وانطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ

حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكاني حتّى يتوب الله عليّ مما صنعت، وأعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً.

فظل في مكانه لمدة عشرة أيام أو خمسة عشرة يوما وهو في حالة من الندم والحسرة والمناجاة مع الله عزّ وجلّ ويطلب منه التوبة.

حتى نزلت الآية (١٠٢) من سورة التوبة وأُخبر بقبول توبته، فقام بإعطاء ثلث أمواله صدقة وذلك ليكفّر عن ذنبه ألا وهو إفشاء سرّ من الأسرار النظامية، وكان يحس بالندم والحياء لابتلائه بهذا الذنب.

وقال بعد توبته: والله ما زالت قدماي حتى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله.

والآية التي نزلت في قبول توبته هي: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٤٢]

فضيحة المنافق أعمى القلب في غزوة بني المصطلق

كانوا غارقين بالاسلحة وكانوا مستعدين تماماً للحرب ضد المسلمين وأعلنوها، كان الغرور يسري في وجود بني المصطلق وكانوا يطلقون شعارات ضد الحكومة الاسلامية بأصوات خشنة وشديدة.

فبلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون لحربه فخرج إليهم مع جيشٍ مجهّز حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: «المريسيع» من ناحية قديد الى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، وحصلت تلك الغزوة في السنة السادسة للهجرة.

فعاد الرسول ﷺ مع عساكر الاسلام الى المدينة، وفي الطريق وصلوا الى بئر وكان مع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار وكان من المهاجرين[٤٣] يقال له: «جهجاه بن سعيد»، يقود له فرسه، فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف ابن الخزرج (من الانصار)[٤٤] على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الانصار، وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين، فأعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له: جعال وكان فقيراً، فقال عبدالله بن أُبي - والذي كان من المنافقين في المدينة وفي الموارد الحسّاسة كان يظهر عداوته للاسلام - بكل خشونة وشدّة لجعال: وإنك لهتاك؟ فقال: وما يمنعني أن أفعل ذلك؟

واشتدّ لسان جعال على عبد الله، وغضب ابن أُبي وقال: قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعزّ

منها الأذلّ (يعني بالأعزّ نفسه، وبالأذلّ رسول الله ﷺ).

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم.

بعد هذا الحديث تبيّن نفاقه وعدم ايمانه والذي كان يظهر الايمان فجعل في صف المسلمين، وبهذا الحديث خرج تلقائياً من صف المسلمين وعرف بالمنافق، وهنا نقرأ بقيّة الحادثة:

فتألم زيد بن أرقم والذي كان حديث السّن من جرأة عبد الله فتوجّه إليه ليدافع عن الاسلام العزيز وقال له: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عزٍّ من الرحمن ومودّةٍ من المسلمين، والله لا أحبك بعد كلامك هذا، فغضب عبد الله من حديث زيد حديث السّن وقال له: اسكت فإنّما كنت ألعب.

فرأى زيد أنه من الصلاح إخبار الرسول ﷺ بذلك حفظاً للاسلام من المنافقين أمثال عبد الله، ولإحساسه بالمسئوليّة مشى الى رسول الله ﷺ بعد فراغه من الغزو وبكل صراحة أخبره الخبر، فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل، وأرسل الى عبد الله فأتاه فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟

فقال عبد الله: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك قط، وإنّ زيداً لكاذب.

وقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار، عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه.

فعذره ﷺ (وهو العالم بما يجري) وفشت الملامة من الانصار لزيد، وعندما وصلوا الى المدينة دخل زيد بيته وهو في حالة من الهمّ والغمّ والحياء وانتظر حتى ترفع عنه هذه التهمة الخسيسة.

اقتراح الابن

عندما بلغ عبدالله بن عبدالله بن أُبي ما كان من أمر أبيه وكان شاباً قوياً وغيوراً، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه قد بلغني أنك تريد قتل أبي، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منّي، وإنّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي أن يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ: بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا.

وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاء ابنه عبد الله بن عبدالله حتى أناخ على

مجامع طرق المدينة، فقال: ما لك ويلك؟

قال: والله لا تدخلها إلا بإذن رسـول اللهﷺ، ولتعلمن اليوم من الأعزّ ومن الأذلّ، فشـكا عبد الله ابنه الى رسول اللهﷺ فأرسل إليه أن خل عنه يدخل، فقال: أما إذا جاء أمر رسول الله فنعم، فدخل.

بلّغ زيد الرسـولﷺ عن عبد الله وحديثه وذلك ليحفظ حوزة الاسـلام ويبيّن الخائن والمنافق، فلما جاء المدينـة جلس في البيت لما به من الهمّ والحياء وكان يقول لربّ العالمين: الهي دافعت عن رسـولك فدافع عنّي!.

فلطف الله عزّ وجلّ به وبعد عدّة أيام أنزل السـورة المباركة «المنافقون» على الرسولﷺ في تصديق زيد وتكذيب عبد الله.[٤٥]

فذهب رسول اللهﷺ الى بيت زيد وأخرجه من جلوس البيت وأخذ بأذن زيد فرفعه عن الرحل ثم قال: يا غلام صدق فوك ووعت أذناك، ووعى قلبك، وقد أنزل الله فيما قلت قرآناً.

فظهر نفاق وخيانة عبد الله وفضح، وبالضبط على عكس حديثه لما جاء الى المدينة جاء ذليلاً، وعاش لمدة ثم رحل من هذا العالم بالكفر والنفاق ونصب لنفسه علامة لذلّته في صفحات التاريخ.[٤٦]

وتعلّـم النـاس للأبد في العالم هذا الدرس بأنه لا يمكن محاربة الحق بأية طريقة حتى لو كان ظاهريّاً يبـين الحـقّ، وهذه هـي الطبيعة وعاقبـة المنافقين الفاسـقين فيكونون أذلّـة، وهذا الانتقـام جعله رب الطبيعة في قلب الطبيعة.

سعي ومساعدة الرسولﷺ لإصلاح امرأة وزوجها مالياً

كانـت خولة وأوس زوجان مسـلمان يعيشـان في المدينـة، ذات يوم اشـتاق أوس الى زوجته فأتاها ولكنها لم تجبه، فغضب أوس فقال لها: أنت علي كظهر أمّي.[٤٧]

وكان الرجل في الجاهلية إذا قال لأهله أنت علي كظهر أمي حرمت عليه للأبد.

وقال أوس لأهله: يا خولة إنا كنّا نحرم هذا في الجاهلية، وقد أتانا الله بالاسلام فاذهبي الى رسول اللهﷺ فسليه عن ذلك !.

فأتت النبيﷺ وأخبرته بما حدث.

قال الرسولﷺ: حرّمتِ عليه.

فحزنت وقالت: اقسم بالله الذي أنزل عليك القرآن لم يطلّقني زوجي، فهو والد أبنائي وأحبه أكثر من أي شيء، فانظر في أمري.

فقال لها رسول اللهﷺ: ما أنزل الله تبارك وتعالى علي كتاباً أقضي فيه بينك وبين زوجك، وإنّي أكره

أن أكون من المتكلّفين.

فجعلت تبكي وتشتكي ما بها الى الله عزّ وجلّ والى رسول الله ﷺ وانصرفت.

ولم تمض فترة حتى نزل الوحي على رسول الله ﷺ وأنزل الآيات من (١) الى (٤) من سورة المجادلة، والتي خلاصتها هي أن على الزوج دفع كفّارة فإما تحرير رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً ثم يستطيع الرجوع الى زوجته.

في هذه الحادثة، كانت المرأة مقصّرة وأيضا الرجل، فالمرأة لم تمكّن زوجها منها فأزعجت الرجل، والرجل من جهة استعجل وغضب سريعاً ونتيجة لذلك وجدا أنفسهما في مشكلة صعبة.

هذه القصة في الحقيقة هي درس للمتزوجين حتى يعطف كل منهما على الآخر ويسعيان الى حفظ كل منهما الآخر، ولا يخلقان المشاكل.

أتى أوس الرسول ﷺ وقال: لا أقدر على أية منها.

فاختار له الرسول ﷺ الكفّارة الثالثة (إطعام ستين مسكين) وأعدّ له خمسة عشرة كيلو من الطعام، فأخذ أوس الطعام ووزعه على ستين مسكيناً، ورجع الى حياته الطبيعية.[٤٨]

وبهذا الترتيب، تدخّل الرسول ﷺ للإصلاح بين المرأة وزوجها ورجّعهما الى حياتهما بإرشاده الفكري ومساعدته المالية.

بطلان الرسول ﷺ للسنن الجاهلية الخاطئة

كان في الجاهلية سنن خاطئة والتي كانت تجري في دم وجلد الجاهليين، من إحدى تلك السنن التي كانت في الجاهلية هي أنه لا يجوز زواج رجل كان غلاما من قبل بإمرأة حرّة ومعروفة، وأيضا زواج رجل شريف من قبيلة معروفة بإمرأة مطلقة كانت لعبد أو غلام في السابق، فكان ذلك حراماً، أو زواج رجلٍ بزوجة ابنه المطلقة.

فدخل الرسول ﷺ عمليّاً في هذا الميدان وذلك لقطع جذور تلك السنن الخاطئة، وإجراء دستور الاسلام والذي هو ميزان المساواة والدّين والكمال وليس الحسب والنسب.

كان زيد بن حارثة غلام وابن الرسول ﷺ بالتبني، وأعتقه الرسول ﷺ وزوّجه زينب بنت عمّته.[٤٩]

بعد فترة من الزمن طلّقها زيد بسبب خصامهما، فقام الرسول ﷺ بمقامه وعظمته وتزوج زينب والتي كانت مطلّقة ابنه بالتّبني وغلام أصبح حرّاً[٥٠]، والذي أشير إليه في القرآن في الآيات من (٣٦)

وحتى (٣٨) من سورة الاحزاب.[٥١]

بالرغم من أن هذا المطلب كان صعبا للغاية في مقابل المغرضين والجهلة إلا أن الرسولﷺ دخل الميدان عمليّاً حتى ينسخ السنن الباطلة، وأعلن بأن التفرقة والامتيازات في الجاهلية باطلة، وأن المسلمين سواسية، وأن ملاك الأفضلية هو التقوى وليس الحسب والنسب.

وأيضا كان زواج الرسولﷺ بزينب تعويضاً لما جرى لها في الزواج الاول.

خلاصة المطلب: أنه لم تكن هناك امرأة ذات شخصية ومعروفة تقبل بالزواج من عبد في الجاهلية، مهما كان يملك من القيم الانسانية العالية، وأيضا لم يكن يقبل أي شخصية مرموقة الزواج بمطلّقة عبده، فتزويج زينب من زيد بواسطة الرسولﷺ ومن ثم زواجه بنفسه بزينب بعد الطلاق أبطل ونسخ السنتين المذكورتين الباطلتين في الجاهلية.[٥٢]

قصة الإفك

من إحدى القصص التي جاءت في القرآن في الآيات من (١١) وحتى (١٦) من سورة النور هي قصة الإفك (إتهام عائشة بنزاهتها)، والتي نفي القرآن بشدة عنها هذه التهمة، ونزّهها.

والقصّة التي نقلت حسب أقوال المفسّرين الشيعة والسنة هي:

قالت عائشة: كان رسول اللهﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها، فأقرع بيننا في غزوة غزاها (غزوة بني المصطلق والتي وقعت في السنة الخامسة من الهجرة) فخرج فيها سهمي، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فخرجت مع رسول اللهﷺ حتى فرغ من غزوه وقفل.

وقالت: ودنونا من المدينة فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا بعقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهو يحسبون أنّي فيه، وكانت النساء إذا ذاك خفافاً ولم يهبلهن اللحم وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة إذ غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد تخلف عن العسكر، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما كلمني بكلمة وقال فقط «إنا لله وإنا إليه راجعون» حتى أناخ راحلته فركبتها، فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في حرّ الظهيرة.

فلما رأوني يقود بي صفوان قال أهل الإفك ما قالوا، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي سلول، فقدمنا المدينة فمرضت حين قدمتها شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يربيني في وجعي غير أني لا أعرف رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي (أمرض) إنما يدخل ويسلّم ويقول: كيف تيكم؟ فذلك يحزنني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت، فأخبرتني النساء بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى منزلي دخل علي رسول الله ﷺ ثم قال: كيف تيكم؟

قلت: تأذن لي أن آتي أبوي؟

قالت: وأنا أريد أن أتيقن الخبر من قبله، فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي وقلت لأمي: يا أمه ماذا يتحدث الناس؟

فقالت: أي بنية هوني عليك، فوالله قلما ما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قلت: سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا؟

قالت: نعم، فمكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ(٥٣) لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب عليه السلام حين استلبث(٥٤) الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي علم من براءة أهله بالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال رسول الله ﷺ: هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأمّا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة (خادمة عائشة) فقال: يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة؟

قالت بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه (أعيب) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله.

فقرّر رسول الله ﷺ أن يتحدث مع الناس في هذه المسألة واستعذر رسول الله يومئذ في خطبة قصيرة خطبها فقال: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فقام سعد بن معاذ (سيد طائفة أوس) فقال: أنا أعذرك، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من الخزرج أمرت ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمري والله ما تقتله ولا تقدر على قتله.

فقال أسيد بن خضير ابن عم سعد بن معاذ، لسعد بن عبادة: كذبت، والله لنقتله، أنت منافق وتحمي المنافقين.

وكادت نار الحرب تشتعل بين الطائفتين الاوس والخزرج، بينما كان الرسول ﷺ على المنبر،

فسكتهم رسول اللهﷺ.

قالت عائشة: استمر هذا الوضع لمدة شهر وأنا في غم وهم، ولم يكن الرسولﷺ يجلس بجانبي، حتى ذات يوم أتاني رسول اللهﷺ وهو مبتسم وقال: أبشري يا عائشة، أما والله فقد برأك الله، وقرأ عليها الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (الآية (١١) وحتى (١٦) من سورة النور).

وبعد نزول تلك الآيات أجرى الرسولﷺ الحدّ على الذين اتّهموها وقذفوها (٨٠ جلدة).[٥٥]

يجب التوجه الى أن المغرضين كبّروا هذه المسألة فلم يكن هناك حل للرسولﷺ إلا أن يسكت لفترة معينة حتى يصل الى الوقت الذي يفضحهم، كما يستفاد من الآية (١١) من سورة النور، وبالرغم من أن هذه الظاهرة كانت مؤذية إلا أنها كانت خير بصورة عامة لأنها أدّت الى معرفة المنافقين.

١٨٥ رسالة الى ملوك ورؤساء البلدان

إن الدين الاسلامي دين عالمي، كما نقرأ في الآية (١٥٨) من سورة الاعراف: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

في السنة السابعة من الهجرة، بعد صلح الحديبية[٥٦] حانت الفرصة للرسولﷺ حتى يبعث رسائل الى الملوك ورؤساء البلدان ويدعوهم الى الاسلام، اطمئن الرسولﷺ من ناحية الجنوب (مكّة) بعد صلح الحديبية ومنذ ذلك الوقت بدأ بإبعاث رسائل الى الملوك ودعوتهم الى الاسلام والتي مجموعها ١٨٥ رسالة كُتبت بعناوين مختلفة.

ويبلغ عدد كتّاب هذه الرسائل (٢٣) شخص، بعضهم كتب (٢٦) وبعضهم كتب الى (٤٢) رسالة، والذي أحدهم هو عليّؑ، والكتب توجهت الى أشخاصٍ كثيرة، منهم:

- النجاشي الاول
- النجاشي الثاني (ملوك الحبشة)
- خسرو برويز امبراطور ايران
- المنذر بن السّاوي حاكم البحرين

- عبـد القيس أحد رؤسـاء البحـرين
- هرقـل إمبراطـور الرّوم
- فروة بن عمرو الجذامي حاكم معان
- يحنة بن رؤبة حاكم إيله
- الحارث حاكم الاردن
- أكثم الصّيفي حكيم العرب المعروف
- ثمامة بن أثال حاكم آخر لليمامة
- حكّام عمّان
- حكّام نجران
- ملوك همدان من قبائل اليمن
- حكّام يبعث من نواحي اليمن
- هلال البحريني حاكـم ووزير المنـذر بن ساوي
- مجوس وزردشتيه وزعماء هجر من حكّام البحرين
- ذو الكلاع
- أهـل هجـر
- أسقف الرّوم الأعظم (ضغاطر)
- أكيد بن عبد الملك ملك دومة الجندل
- المقوقس ملك مصر
- جبلة بن أيهم حاكم دمشق
- هودة بن علي حاكم اليمامة
- مسيلمة الكذّاب
- وائل بن حجر
- حكّام حمير
- قبيلة بني فهد
- يهود خيبر
- إسيحب حاكم ثغـور البحرين
- زرعة بن سيف من زعماء اليمن
- ملك السّماوة، و......[٥٧].

وهنا سـنكتفي بذكر كتاب واحد فقط، وسـيعرفنا عن كيفية باقي الكتـب ونتيجتها، والكتاب هو كتاب رسول الله ﷺ الى ملك الفرس بواسطة أحد أبطاله.

في ذلـك الزمـن كانت هنـاك بلدان متعددة، ولكن بـلاد فارس وبلاد الروم كانتا مـن أكبر البلدان وأقواها في ذلك الزمن.

وكان كسرى من طواغيت ذلك الزمن في ايران، وكان غارقاً في الكبر والغرور.

بعث إليه الرسول ﷺ كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام وذلك بواسطة أحد أصحابه ويسمى «عبد الله بن حذافة» الشجاع والشهم والذي سلّم الكتاب بنفسه وبيده الى كسرى فارس.

فأخذ عبد الله سـفير الرسـول ﷺ وركـب فرسـه واتجه من المدينة الى المدائن، وبعد طي هذا الطريق الطويل وصل الى قصر ملك الفرس المهيب، وبالرغم من احتمال تعرضه الى خطر القتل والموت إلا أنه أدّى هذا الواجب بكل همّة وعزم.

عندما وصل عبد الله الى القصر أوقفوه الحرس، فقال: أنا سـفير رسـول الاسلام ﷺ، ولدي كتاب منه الى كسرى فارس وأمرت أن أسلّمه بنفسي الكتاب.

فأخبر الحارس الملك بالخبر وسمح له بالدخول، وقبل دخوله أمركسرى بتزيين القصر حتى يجذب

السفير إليها ويتجه قلبه ناحية الزينة.

فدخل عبد الله القصر بدون أن يتأثر بالبهرجة والزينة والتشريفات وبحالة عادية انحنى احتراماً للملك ووقف أمامه.

قال كسرى لأحد حرسه: خذ الكتاب منه واعطني إياه.

فقال عبد الله: لا، لا أسلّم الكتاب الى أي شخص، فإني أمرت أن أسلّمك إياه بنفسي.

فاضطر كسرى بأن يمدّ يده ويأخذ الكتاب من يد عبد الله، وأعطاه إياه الى المترجم وترجم الرسالة الى الفارسية والرسالة كانت: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بداعية الله عزّ وجلّ، فإني أنا رسول الله الى الناس كافة، لأنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.

فلما سمع ما في الكتاب استخف وقال: من هذا الذي يدعوني الى دينه، ويبدأ باسمه قبل اسمي، فمزقه وقال: يكتب إلي بهذا الكتاب وهو عبدي؟

فأمر بإخراج السفير.

وكتب البعض بأنه بعث الى رسول اللهﷺ بتراب وأمر بأن ينثر عليه.

فخرج عبد الله من المجلس من دون خوفٍ أو رهبة وركب فرسه وتحرك باتجاه المدينة، وكان فرحاً لأنه أدّى واجبه، وعند الوصول الى المدينة أتى الرسولﷺ وأخبره بما جرى معه.

عندما علم الرسولﷺ بهذا الخبر لم يتزلزل، بل بكل متانة قال: مزق الله ملكه كما مزق كتابي، أما إنه ستمزقون ملكه، وبعث إليّ بتراب أما إنكم ستملكون أرضه.

ولم يتنازل كسرى عن غروره فكتب الى «باذان» وهو على اليمن أن: ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين فليأتياني به.

فبعث باذان قهرمانه وهو «بانوبه» وكان كاتباً حاسباً، وبعث معه برجل من الفرس يقال له: خرخسك.

فكتب معهما الى رسول اللهﷺ يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى، وقال لبانوبه: ويلك انظر ما الرجل وكلمه وأتني بخبره.

فخرجا حتى قدما المدينة على رسول اللهﷺ وكلمه بانوبه، وقال: إن شاهنشاه ملك ملوك كسرى كتب الى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتبت فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك

ومهلك قومك ومخرب بلادك.

وكانا قد دخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟

قالا: أمرنا بهذا ربنا، يعنيان كسرى.

فقال رسول الله ﷺ: لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي.

ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتياني غداً.

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء أن الله عزّ وجلّ قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا لكذا وكذا من الليل.

فلما أتيا رسول الله ﷺ قال لهما: إن ربّي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعد ما مضى من الليل كذا وكذا، سلط عليه شيرويه فقتله، ارجعا الى اليمن وأخبرا باذان، إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهي الى منتهى الخف الحافر، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك.

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيّاً كما يقول، ولننظر ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقّاً، ما فيه كلام أنّه نبي مرسل، وإن لم يكن فسترى فيه رأينا، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وأنظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليه فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه باذان قال: إن هذا الرجل لرسول، فأسلم وأسلمت الابناء من فارس من كان منهم باليمن.[٥٨]

وبهذا الترتيب وصل كسرى الى نتيجة التكبّر والغرور، وأدّى عبد الله سفير الرسول ﷺ مهمته بكل عزّة وفخر.

نظرة الى فتح وتحرير قاعدة قريش والمشركين(مكة)

في السنة السادسة من الهجرة، سهّل حادثة صلح الحديبية الطريق الى فتح مكة وكان كالسلم الذي صعد عليه المسلمين لفتح مكة، مع التوجه الى أن مكة كانت قاعدة قريش ومشركي الجزيرة العربية، وبفتحها يحصل المسلمين على أكبر نصر لهم، نفهم وندرك أهميّة هذا الفتح الكبير.

وأمّا كيف حصل هذا الفتح العجيب ومن أين بدأ؟ سنذكر قصته بشرحٍ وافي لاحقاً.

مـن إحـدى المواد التي أقرّت عليها معاهدة صلح الحديبية هي: عقد التحالف بين الطوائف وعدم نقضه، ويحترم هذا الصلح مادام لم ينقض، ولكن إن نقضه المشركين فيعتبر باطلاً، وعلى هذا الاساس عقـد بعـض الطوائف مـع البعض الآخر معاهـدة الصلح، من جملتهـم: قبيلة كنانة مـع قريش وقبيلة خزاعة مع المسلمين تم عقد الصلح بينهم.

ولكـن لم تمـض فترة حتى هجم قبيلـة الكنانة على قبيلة خزاعة، فرقـد بعضهم في الفراش في وضع محزن وأسر بعضهم الآخر.

عندمـا بلغ الرسـولﷺ بالخبر[٥٩]، اغتمّ شـديداً من نقضهـم العهد ولهذا قرّر بـأن يفتح مكّة، لأن القاعـدة الوحيـدة في الجزيرة العربية التي لا زالت بأيدي المشركين ومخالفين الاسـلام كانت مكّة وقد جعلوها مركزاً لمعارضتهم فكان من البديهي أن يطهّر هذه الارض المقدّسة من تلوّث المشركين.

فأعلن الرسولﷺ قراره وهو فتح مكّة فأجابه المسلمين واجتمعوا فبلغ عدد المقاتلين عشرة آلاف مقاتل.

وفي اليـوم العـاشر من شـهر رمضان[٦٠] تحرّك مع عـشرة آلاف مقاتل من أصحابـه نحو مكّة دون أن يعلـن ذلـك وبمهارة تامّة وصـل الى «مـرّ الظهـران» بالقـرب من مكّة دون أن تعلم قريش بذلك، فسبّب ذلك رعب ووحشة عجيبة في قلب العدو.

والشيء اللطيف هنا أنّ العبّاس عم النّبيﷺ الذي كان قد قبل الاسلام خفاء وبالسر وظاهريّاً كان يعيـش بـين المشركين في مكّة، ولم يكونوا يعلمون بإسـلامه، كان له دور فعّـال في القضاء على الأعداء معنويّـاً، من جهـة كان يوصّل للأعـداء الأخبار التي تضرّهـم، وبالعكس كان يبلّغ المسـلمين بأخبار العدو والمشركين.

وكان أبـو سـفيان وجماعة مـن قريش قد خرجـوا من مكّة يتجسّسـون أخبار رسـول اللهﷺ فأُسر وجاء به الى رسـول اللهﷺ فلما رأى كثرة العسـاكر دخله في ذلك رعب عظيم فأسـلم كرهاً وخوفاً من القتل، واسـتأذن أبو سـفيان رسـول اللهﷺ ليدخل مكّة ويخبرهم بقدوم رسول اللهﷺ وكثرة المسلمين والعساكر حتى يستسلموا قبل أن يحاربهم رسول اللهﷺ ويقاتلهم، ففعل ذلك وقال لهم: محمّد في خلق عظيم لا تقدرون عليهم وسرعان ما سيحاصر مكّة ووعد كل من دخل المسجد فهو آمن.

فسلب هذا الوعد روح المقاومة عن أهل مكّة، وحينما وصل النبي الأعظمﷺ أبواب مكّة وأوصاهم بدخول كلّ جماعة باباً من أبوابها استسـلمت مكّة بسـهولة لجيوش الاسـلام، إلا كتيبة خالد بن الوليد حيـث اصطـدمت بمجموعة مـن المشركين فقتلت (٢٨) منهم وولّى الباقـون الأدبار، واستشـهد من المسلمين ثلاثة رجال وذلك لأنهم أخطأوا الطريق في أسفل مكّة فغافلهم المشركين وقُتلوا.

دخل الرسول الأكرمﷺ والمسلمين مكّة، فجاء الرسولﷺ بجانب الكعبة، ووقف أمام باب الكعبة وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

وبعد الطواف وأداء صلاة الشكر خاطب أهل مكّة وشرح لهم مقاصده، ثم أمر عليّاً بتطهير الكعبة من لوث الاصنام فحطّموها، وأعلن العفو العام.

ثم قال رسول اللهﷺ لأهل مكّة: ما تظنون؟ وما أنتم قائلون؟ فقالوا: نقول خيراً ونظنّ خيراً، أب كريم وأخ كريم.

فقال الرسولﷺ: فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم جميعاً وهو أرحم الرّاحمين.

وقال: ألا لبئس جيران النّبي كنتم، لقد كذبتم وطردتم، وأخرجتم وفللتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني، فاذهبوا فأنتم الطّلقاء.

(عفا النّبيﷺ عنهم بالرغم من أنه كان يستطيع أن يأسرهم ويبيعهم في الأسواق كالعبيد، فقد أمكنه الله سبحانه من رقابهم عنوة، وكان له فيئاً، فلذلك سمي أهل مكّة الطلقاء).

فخرج القوم كأنما أنشروا من القبور، ودخلوا في الاسلام.

والشيء اللطيف هنا هو أنه التحق بجيش الاسلام ألفان رجلاً من قريش فأصبح عدد مقاتلي الاسلام اثنى عشرة مقاتلاً.

هذه هي نتيجة الصبر والاتحاد والشجاعة وإتّباع القائد بصورة صحيحة والفداء في سبيله.

وحقاً كان فتح مكّة من أحلى وأكبر الفتوحات التاريخية التي حازتها القوى الاسلامية، حيث بدّل حياة المسلمين من المرارة التي كانوا فيها الى حلاوة.

والآن وصل الرسولﷺ من بعد المبارزة والحرب ضد المشركين (٢١) سنة الى ثمرة جهوده، وفي يوم كان قد طرد مع المسلمين من مكّة وقتلوا بعضهم وشردوا الآخرين وسرقوا أموالهم وعذّبوهم، ولكن اليوم الرسولﷺ مسرور لأنه طهّر مكّة الارض المقدّسة من لوث الشرك والطواغيت والاصنام، ورفع راية التوحيد وحرّر المركز الاستراتيجي للمشركين، فحطّم الاصنام وقضى عليها، وإن وجد صنماً فكان ذلك أن المشركين قد خبّئوا أصنامهم في بيوتهم.

فغض الرسولﷺ الرحيم عن كلّ أذيّة تأذى بها من قبل المشركين وقال في خطبته: ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين.[٦١]

وهذا هو الفتح المبين (طبقاً لنقل بعض المفسّرين) الذي جاء في بداية سورة الفتح حيث نقرأ:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

قصص عن فتح مكة

رؤيا الرسولﷺ

رأى الرسولﷺ رؤيا في منامه في السنة السادسة من الهجرة فقال لأصحابه: رأيت كأنّي دخلت مع أصحابي مكّة لأداء مناسك العمرة.

وطبقاً لبعض الروايات أنه قال: رأيت أن الله عزّ وجلّ أمرني بأن اذهب الى مكة لأداء مناسك الحج.[٦٢]

ففرح أصحابه لهذه الرؤيا.

ولأن البعض تصوّر أن تفسير الرؤيا هو ذهابهم الى مكّة في نفس السنة التي رأى الرسولﷺ فيها الرؤيا (السنة السادسة للهجرة)، وحيث أن المشركين منعوهم من فعل ذلك، وقع الشك والترديد في قلوب ضعاف الايمان لأن رؤيا الرسولﷺ لم تكن صحيحة، واعترض المنافقون بعلانية وقال أحدهم: يا رسول الله ألم تقل لنا أننا سندخل المسجد الحرام ونحلق مع المحلّقين؟

فقال لهم الرسولﷺ: أمن عامنا هذا وعدتك؟

فنزلت الآية (٢٧) من سورة الفتح في صدق هذه الرؤيا، بأن اصبروا ستتحقق الرؤيا عن قريب، وهي: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.[٦٣]

قصة منع المشركين

كانت الحروب حرام لدى جميع أهل الجزيرة العربية في الأشهر الحرام (ذي القعدة، ذي الحجة، رجب، محرم)، وأيضا احترم الاسلام هذه السّنّة، وكان الرسولﷺ يستفيد من هذه الأشهر والتي كان فيها الحرية للتبليغ عن الاسلام.

فقرّر الرسولﷺ بأن يذهب الى مكة في السنة السادسة من الهجرة مع المهاجرين والأنصار وسائر المسلمين، وفي شهر ذي القعدة يشاركون في أداء مناسك العمرة.

فخرج المسلمون[٦٤] من المدينة ولما نزلوا ذا الحليفة أحرموا بالعمرة وساقوا البدن، وساق رسول اللهﷺ ستة وستين بدنة وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة ملبّين بالعمرة، وقد ساق من

ساق منهم الهدى.

كان واضح من سير الرسولﷺ أنه لا يقصد شيئاً (كالحرب) إلا العبادة، فنزل مع أصحابه الحديبية.

ولكن بلغ خبر حركة الرسولﷺ الى مكة الى المشركين وقريش فمنعوهم من سيرهم، في حين أنهم لم يلتزموا بسنّتين من سننهم وهي: الاولى: الحرية في الاشهر الحرم (منها ذو القعدة)، والثانية: عدم منع الشخص المحرم.

وهنا حصلت نزاعات وأقوال كثيرة بين المسلمين والمشركين والتي كانت مقدمة لصلح الحديبية (والذي كان فتحاً كبيراً للاسلام)، وكتبت المعاهدة.

ثم أمر الرسولﷺ أصحابه بأن ينحروا بدنهم ويحلّقوا رؤوسهم فيخرجوا من إحرامهم، ويرجعوا الى المدينة، فعمل أصحابه بأمره.

فعاد المسلمون الى المدينة وهم في غمٍ وهم لإنكارهم الصلح ومعارضتهم لهذا الوضع.

وفي الطريق، ثقل مركب الرسولﷺ وتوقف، فرح الرسولﷺ كثيراً وشاهد المسلمون هذا النشاط والفرح البادي على وجه رسول اللهﷺ وانتظروا لمعرفة سبب هذا الفرح فقال لهم النبيﷺ: الآن نزلت عليّ سورة الفتح (السورة الثامن والاربعون من القرآن).[٦٥]

صلح الحديبية، مقدمة لفتح مكّة وانتصارات أخرى

يعتبر صلح الحديبية من أكبر الانتصارات التي حققها المسلمون بقيادة الرسول الأكرمﷺ، والذي كان مقدمة لفتح مكّة الاستراتيجي وأيضا كان يحتوي على رسائل سياسية واجتماعية ومذهبية كثيرة وممتازة.

ولأن هذا الصلح وقع بين المسلمين والمشركين في الحديبية (تبعد عن مكّة ٢٠ كيلومتر على طريق الجدّة وسمّيت بالحديبية نسبةً الى بئر أو شجرة الحديبية الواقعة بها)، لذا سمّي بصلح الحديبية.

كان صلح الحديبية مهماً جداً لدرجة أنه أعدّ مقتضيات وأرضية انتصارات متلاحقة والتي عرّف في روايات متعددة بـ«الفتح المبين».[٦٦]

قال الزُهري وهو من التابعين ومن أكابر رجالهم المعروفين: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم فتمكّن الاسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث

سنوات خلق كثير، وكثر بهم سواد الاسلام.[٦٧]

وكان صلح الحديبية سبباً لفتح خيبر (في السنة السابعة للهجرة) وأساساً لفتح مكّة العظيم (في السنة الثامنة للهجرة).

وعلى هذا الاساس يقول أكثر المفسرين: أن سورة الفتح نزلت في صلح الحديبية والذي كان مقدمة لفتح مكّة.

نقل العلامة الطبرسي أنه: لما رجع الرسولﷺ من الحديبية (ونزلت سورة الفتح) قال أحد أصحابه: ما هذا الفتح الذي منعنا من زيارة بيت الله ونحر هدينا؟

قال الرسولﷺ: قلت قولاً بذيئاً، بل إنه أعظم انتصار لنا فالمشركين وافقوا على إبعادكم من أراضيهم بدون قتال، وعرضوا عليكم الصلح، وتركوا التعرّض لكم بالرغم من كل ما رأوه من قبل.[٦٨]

قال العالم الروماني «ويرزيل كيوركيو» عن صلح الحديبية:

كما أن غزوة أحد لم تكن هزيمة من وجهة نظر الرجل النظامي، لأن جيش مكّة لم يستطع القضاء على جيش الاسلام ولم يستطع احتلال بلاد الاسلام (المدينة)، أيضا توقف محمدﷺ في الحديبية لم يكن هزيمة سياسية كما كتب البعض، بل يعد انتصاراً سياسيّاً.

يستطيع الانسان وإن كان ليس من أهل السياسة أن يفهم أن محمدﷺ أجبر خصمه أن يطيع سياسته بسياسته في الحديبية.

وكانت قريش تعيش في غرور وتكبّر لدرجة أنهم لم يكونوا يبعثوا أحداً الى محمدﷺ للتفاوض والمناقشة، وإن بعثت أشخاص كان ذلك ليس للتفاوض بل كان للتعرف والتجسس على المسملين ومعرفة أوضاعهم ونفسيّاتهم وقدراتهم ومدى وفائهم لمحمدﷺ.

ثم تطرّق الى مطالب أخرى وخلاصتها هي:

ولكن محمدﷺ بمناورة بيعة الرضوان استطاع أن يجرهم الى طاولة التفاوض والمناقشة والامضاء على معاهدة والذي في الحقيقة هو إمضاء لتوسعة الاسلام وإلقاء الرعب والوحشة في قلوب المشركين فكان أرضية لهزيمة قريش.[٦٩]

مناورة بيعة الرضوان

تحدثنا من قبل بشأن صلح الحديبية وأهمّيته، ولكن من العوامل المهمة التي أدّت لكتابة هذا العهد هي رعب ووحشة المشركين من قدرة وقوة المسلمين، فهم في البداية لم يصدّقوا قوّتهم، ولكن بيعة الرضوان أوجدت في قلوبهم الرعب والوحشة وهذا الأمر أدّى الى استسلامهم في صلح الحديبية

والذي كان ميزة مهمة للاسلام، والآن نلفت نظركم الى القصة التالية والتي تتعلق بتلك المسألة:

لما خرج رسول الله ﷺ في السنة السادسة من الهجرة مع ألف وأربعمائة شخص لأداء مناسك العمرة من المدينة الى مكة وصلوا الى منطقة تسمى بالحديبية (تبعد ٢٠ كيلومتر عن مكّة).

فأرسلت قريش «بديل بن ورقاء الخزاعي» مع جمع من المشركين الى رسول الله ﷺ فأتوه وتكلموا مع الرسول ﷺ وناقشوه وسألوه عن سبب مجيئه، فعلموا أنهم لم يأتوا الى الحرب والقتال، بل (في شهر الحرام - ذي القعدة) أتوا لأداء مراسم العمرة في مكّة.

فعادوا الى مكّة وأخبروا رؤساء قريش بأن: يا معشر قريش خفضوا عليكم وإنه لم يأت يريد قتالكم، وإنما يريد هذا البيت.

وأخيرا بعث رؤساء قريش «عروة بن مسعود» والذي كان عاقلاً وذكيّاً للمفاوضة مع الرسول ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ وبدأ معه بالتفاوض، فقال له الرسول الاكرم ﷺ نفس الكلام الذي قال لبديل، وهنا أدرك عروة بن مسعود أن أصحاب الرسول ﷺ يكنّون احتراماً خاصّاً - الى درجة الايثار - للرسول ﷺ، حيث جعل يرمق صحابة النبي ﷺ إذا أمرهم رسول الله ﷺ ابتدروا أمره، وإذا توضأ ثاروا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.

فرجع عروة الى أصحابه وقال: أي قوم ! والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد (عن الصلح) فاقبلوها.

ولكن لم يقبل المشركون بذلك، وأصرّ عروة على أن يقبلوا بالصلح.

قال عروة: بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان الى أشراف قريش ليعلمهم بالهدف من مجيء المسلمين، فأرسل إليه رسول الله ﷺ وبعثه الى أهل مكة يستأذنهم في أن يدخل مكّة معتمراً فدخل عثمان مكّة وأتى أبو سفيان ورؤساء مكّة وأبلغهم برسالة رسول الله ﷺ.

فأبوا أن يتركوه، واحتبس عثمان فظنّ رسول الله ﷺ أنهم قتلوه، فقال لأصحابه: أتبايعوني على الموت؟

فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفروا عنه أبداً.

فانتشر خبر هذه البيعة (مناورة محسوبة ومهلكة) وبالاضافة الى حديث «عروة بن مسعود» عن إيثار أصحاب الرسول ﷺ في مكة فاستوحش قريش وتركوا عثمان.

ثم إنهم بعثوا سهيل بن عمرو الى رسول الله ﷺ نيابةً عنهم فكُتبت المعاهدة بحضور مندوب قريش

في منطقة الحديبية كما ذكرنا آنفاً.[٧١]

ذكـر القـرآن عن هذه البيعة في الآية (١٨) و (١٩) من سـورة الفتح، وطبقاً للآية (١٨)، رضى الله عزّ وجلّ عن المؤمنين بسبب تلك البيعة، لذلك أحياناً تسمى تلك البيعة ببيعة الرضوان وأحياناً «بيعة الشجرة» وذلك لإتمام البيعة تحت الشجرة.

ويبيّن الله سبحانه وتعالى في الآيتين المذكورتين ثلاث نتائج مهمة لتلك البيعة:

١- اطمئنان المؤمنين القلبي.

٢- فتح قريب.

٣- غنائم كثيرة.

وكانـت هـذه المواهب الثلاثة المعنويـة والمادية من نصيب المسـلمين ونتيجتهـا كانت سريعة وهي وحشة المشركين وانسحابهم.

عقد صلح الحديبية

ذكرنـا مـن قبل حضور الرسـولﷺ مع جمعٍ من المسـلمين في شـهر ذي القعـدة الى منطقة الحديبية ورجوعهم الى المدينة ولكن لم نبيّن أصل عقد الصلح، وهنا سنذكره باختصار:

لمـا وصل الرسـولﷺ ومن معه الى منطقة الحديبيـة، منعت قريش من دخولهم مكّة، فقال رسـول اللهﷺ الى مندوبهم: ما جئت محارباً لكم إنّما جئت معتمراً، وبعد مباحثات واسعة اتفقوا على أن يجعلوا بينهم هدنة وتضمنت ترك القتال وأمور أخرى.

فجـدد المسـلمون الذيـن كانوا جالسـين تحت ظل شـجرة في الحديبيـة بيعتهم مع الرسـولﷺ بأن يفدون بأموالهم وأرواحهم في سـبيل الرسـولﷺ ورفع كلمة الاسـلام، ولأن الآية (١٨) من سـورة الفتح نزلت في رضى الله عزّ وجلّ على الرجال الأوفياء، لذا سميت البيعة ببيعة الرضوان.

وكان لهذه البيعة دور مهم في استسلام المشركين أمام عقد الصلح.

والخلاصـة: هـي أنه عندما تم عقد الصلح كان سـهيل بن عمرو منـدوب المشركين حاضراً، وأمر الرسولﷺ عليّاًعليه السلام بكتابة عقد الصلح فكتبه عليّعليه السلام.

أدرجت في عقد الصلح سـبعة مواد، وكتبت منه نسـختان، ومضّى جمعٌ من الطرفين عليه، وأُعطي نسخة لرسول اللهﷺ والنسخة الأخرى لسهيل.

وبعض مواد هذا العقد هي:

١- أن تكون الحرب مكفوفة بين الرسولﷺ وبين المشركين لمدة عشر سنوات.

٢- من لحق محمداً وأصحابه من قريش فإن محمدا يرده إليهم.

٣- وجميع الطوائف أحرار في عقد معاهدات صلح بينهم، ولا يجوز نقضها من قبل جماعات أخرى.

٤- وعلى أن يرجع رسول الله ﷺ مع أصحابه الى المدينة في عامه هذا وفي العام المقبل يدخل مكّة مع أصحابه ويخرج المشركين منها ويقيم الرسول ﷺ بها ثلاثة أيام ولا يدخلها بالسلاح إلا السيوف في القراب وسلاح الراكب ويزور الكعبة.

وذكر العلامة المجلسي في كتاب البحار بعض المواد الأخرى من ذلك الصلح، مثل: أن يعبد الله بمكة علانية وأن لا يستنكره أحد على دينه وأن يكفّوا أذاهم عن المسلمين.[٧٢]

فعاد الرسول ﷺ مع المسلمين الى المدينة بعد توقفٍ دام تسعة عشرة يوماً في الحديبية.

لو لم ينقض المشركون هذه المعاهدة، لكانت أساس ومقدمة جيدة لكسب الحرية ومن بعدها، تبليغ الاسلام في الجزيرة العربية والذي من المسلّم له نتائج مضيئة في الاسلام - كما سنذكر لاحقاً أن المشركين نقضوا العهد - وفي نفس الوقت تكوّن أرضيات جيدة لانتصارات الاسلام في المستقبل.

بعد عقد الصلح، أصبح المسلمون يتحركون بحرية أكثر لتهيئة أرضية واسعة لنشر الاسلام، وفي السنة السابعة من الهجرة بعث الرسول ﷺ رسائل متعددة الى رؤساء البلدان، ودعاهم الى الاسلام، وتم فتح حصون خيبر المحكمة والتي كانت ملجأ اليهود (الطابور الخامس للعدو) على يد المسلمين، وتيسّرت السبل لفتح مكّة وفي ضوء هذه الحرية وجاذبية الاسلام، جُذبت القلوب للاسلام.

تعاطف الرسول ﷺ في كتابة عقد الصلح

في قصة الحديبية والتي كانت مقدمة لفتح مكّة، حضر سهيل بن عمرو نيابةً عن المشركين الحديبية.

ودعا الرسول ﷺ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لكتابة عقد الصلح فقال له: اكتب، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال سهيل بن عمرو: لا نعرف الرحمن اكتب كما كان يكتب آباؤك «باسمك اللهم».

فتعاطف رسول الله ﷺ وقال: اكتب «باسمك اللهم».

ثم قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: اكتب «هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله والملأ من قريش».

فقال سهيل بن عمرو: ولو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمد بن عبد الله.

فقال الرسولﷺ: أنا رسـول الله وإن لم تقرّوا، ثم محى كلمة رسول الله وقال: لا مانع، اكتب «هذا ما تقاضى عليه محمد بن عبدالله والملأ من قريش وسهيل بن عمرو، اصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين، على أن يكف بعضنا عن بعض، وعلى أنه لا إسلال ولا إغلال».(٧٣)

وبهـذا الترتيب، نرى أن الرسـول الاكرمﷺ لم يجـادل ولم يعاند في تنظيم عقـد الصلح وبكل متانة أكمله ولم يفدي بأمرٍ مهم في سبيل أمور جزئية.

بالرغـم مـن أن وقاحة سـهيل كانت غـير مقبولة لدى المسـلمين، إلا أن طريقة الرسـولﷺ المتينة ومسـاعدة الله سـبحانه وتعالى، طمأنت القلوب وسـكّنها، وفي هذا الموقف الحسّاس تقدم العقل على الأحاسيس، وتغافلوا عن الأمر المهم للحصول على أمرٍ أهم.

تحـرير الأسـرى

نقـل في قصـة عقـد صلح الحديبيـة أنه: خرج ثلاثون شـاباً من مكّـة وعليهم السـلاح الى الحديبية ليقتلوا رسول اللهﷺ والمسلمين.

فخمدت هذه المؤامرة وقبض على جميعهم، ولكن أعتقهم الرسولﷺ.

وأمّـا كيفيـة القبـض عليهم كانت بهذه الصـورة: أن الرسـولﷺ دعا عليهم فأخـذ الله بأبصارهم فأخذوهم المسلمين أسارى.

ونقـل أيضـا أن المشركـين بعثوا أربعـين رجلاً عـام الحديبية ليصيبوا من المسـلمين، فـأوتي بهم الى النبيﷺ أسارى فخلّى سبيلهم.

وقيـل: أنهـم كانـوا ثمانين رجلاً مسـلّحاً من أهل مكّـة هبطوا من جبـل التنعيم عند صـلاة الفجر عـام الحديبيـة ليقتلون المسـلمين وهم في حال الصـلاة (كما نزلت الآية (٢٢) من سـورة الفتح في هذا المورد).(٧٥)

وطبقاً لنقل آخر، أن قريش بعثت خالد بن الوليد مع ٢٠٠ رجل لقتل المسـلمين، حيث أرادوا أن يهجموا على المسلمين في وقت صلاتهم إلا أنهم لم يفلحوا.(٧٦)

دخول الرسولﷺ مكة وأدائه العمرة قضاءاً

كما جاء في صلح الحديبية، أن للرسـولﷺ مع المسـلمين الحق في زيارة مكّة في السـنة القادمة وأن يظلّ في مكّة ثلاثة أيام لأداء مناسك العمرة.

حانت السنة السابعة للهجرة، وبعد مضي سبع سنوات من الهجرة عاد الرسولﷺ الى موطنه لأداء مناسـك العمرة قضاءاً مع ألفي شـخص، فدخل مكّة وهو في حالة وروحيّة خاصّة (سـميّت العمرة

بعمرة القضاء وذلك قضاءاً عن العام السابق الذي منعهم المشركين فيه عن دخول مكّة).

فكان لنداء المسلمين بالتكبير والتلبّي جذبة خاصة، فالعمرة منحت علاوةً على احترام الكعبة والارض المقدّسة مكّة، نوع من التبليغ العملي للاسلام ودلّت على قدرة الاسلام، وهذه المناورة المذهبية لألفي شخص كانت لها أثر جيد على روحيّات ونفوس أهل مكّة والمسافرين المارّين، وأدرك المشركون أن هزيمتهم والتي في نظرهم غير ممكنة أصبحت حقيقة وليس خيال، لدرجة أن رجال مميزة من المشركين آمنوا بالاسلام ثم بعد مدة وجيزة اعتنقوه(٧٧) كخالد بن الوليد الذي عُرف بالشجاعة والخباثة، والآخر عمرو بن العاص الذي عُرف بالمكر.

كل هذه العوامل أدّت ويسّرت عملية فتح مكّة، واقترب سقوط المشركين وتحرير مكّة.

مناورة توحيدية أثناء طواف الكعبة

كما قلنا من قبل: أن الرسول ﷺ خرج مع أصحابه في السنة السابعة من الهجرة (سنة قبل فتح مكة) الى مكة بناءاً على ما جاء في صلح الحديبية لأداء عمرة القضاء.

فلما قدم رسول الله ﷺ مكّة أمر أصحابه فقال: «اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف»، ليرى المشركون جلدهم وقوتهم، فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون الى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ويلبّون: لبّيك، اللهم لبّيك.

وعبدالله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله متوشحاً بالسيف يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلّوا فكلّ الخير من قبوله
يا ربّ إنّي مؤمنٌ بقيله
أعرف حقّ الله في قبوله

ويشير بيده الى رسول الله ﷺ.(٧٨)

المكانة المهمة والعالية لفتح مكة

الارض المقدسة مكّة والتي كانت يجب أن تكون مركزاً للتوحيد والتي عرفت بهذا العنوان منذ زمن آدم عليه السلام ونوح عليه السلام وابراهيم الخليل عليه السلام، تبدّلت بواسطة أهل مكّة وأطرافها الى مركزاً للشرك وعبادة الاصنام وعاصمة لكل المشركين والكفّار.

لذا يعتبر فتح مكّة من أكبر الفتوحات التي حصلت عليها الانقلاب الاسلامي، وحصل المسلمون

بفتحهم مكّة من الجهة السياسية على أعظم ميزة ودرجة، وانتقلوا من الحياة الصعبة الى حياة أفضل.
وعلى هذا الاساس جاء في القرآن: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾.(٧٩)
نفهم من هذه الآية مدى عظمة فتح مكّة.

أمر الله تعالى لترك القتال في مكّة

في حادثة عمرة القضاء والتي جرت في السنة السابعة للهجرة، دخل الرسولﷺ مع ١٤٠٠ مسلم مكّة لأداء مناسك العمرة (كما ذكرنا من قبل).
ولما كانت القافلة تتحرك بإتجاه مكّة، خافوا من أن يصدهم المشركون عن دخول مكّة كما حصلت في السنة السابقة (السادسة من الهجرة)، وينقضوا أحد شروط صلح الحديبية (وهو أنه يجوز للمسلمين في السنة القادمة أداء العمرة والتوقف لثلاثة أيام في مكّة)، ونتيجةً لذلك يقع الحرب والقتال بينهم، بالرغم من أنهم مُنعوا من القتال في شهر الحرام (ذي الحرم) وأيضا في مكّة التي هي حرم الله الآمن.
فكان الرسولﷺ يفكّر ماذا يفعل في تلك الحالة؟ فنزل جبرئيلعليه السلام وأنزل هذه الآية (١٩٠ من سورة البقرة) على رسول اللهﷺ: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾.(٨٠)
وبهذا الترتيب عرف الرسولﷺ أنه يجب أن لا يقاتل، ولكن إذا بدأ العدو بالقتال فيجب أن يدافع ويقاتل، وفي الوقت الحالي يجب مراعاة حدّ احترام مكّة وهو أن لا يقع الحرب.

القبض على الجاسوسة

قبل أن يسير عساكر الاسلام الى مكّة، أمر الرسولﷺ بأن يراقبوا طريق المدينة ومكّة وأطرافها بدقة ويسدوا طريق المدينة من الخارج، حتى لا يخرج أحدا من المدينة أو يدخلها، وكان الهدف من هذا الامر هو حتى يدخل المسلمون مكّة مع مراعاة الاستتار وبدون سفك الدماء يفتحون مكّة، ويستغفلون المشركون من قبل أن يستعدوا للحرب.
لذا، أمر الرسولﷺ بالحرّاس بحراسة المدينة وجعل حارثة بن نعمان رئيساً للحرس والمسئول عن تنظيم عمل الحراسة، فأتيا الحرس فسألاهم، فقالوا: ما مرّ بنا أحد، ثم استقبلا حطّاباً فسألاه فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة (منطقة قريبة للمدينة)، والتي هي سارة، حيث سنذكر لاحقاً قصة القبض عليها.

والشيء اللطيف هنا أن مسألة الاستتار كانت دقيقة جداً حتى أن أغلب المسلمين لم يكن لديهم العلم أين سيتحركون بهذه التجهيزات والاستعدادات والى أي جهة، وبعد أن ساروا علموا بقرار فتح مكّة، وكان الرسول ﷺ مراقب جداً لموضوع إخفاء الأسرار الحربية حتى أنه استمد العون من الله عزّ وجلّ في هذه المسألة وقال: اللهم خذ العيون عن قريش حتى نأتيها في بلدها.(٨١)

ولكن بالرغم من كل هذه الاحتياطات واتّخاذ الحذر في حفظ الأسرار، قام أحد المسلمين ويسمى حاطب بن أبي بلتعة بإفشاء قصد ونيّة الرسول ﷺ وقراره، وهنا نلفت نظركم الى تلك الحادثة:

كان حاطب من أصحاب رسول الله ﷺ ودافع عن الاسلام بإخلاص حتى أنه كان سفير رسول الله ﷺ في إيصال كتابه الى ملك مصر (المقوقس)، وبكل شهامة ذهب الى ملك مصر وسلّمه الرسالة، لما قرأ ملك مصر والذي كان مسيحيّاً كتاب الرسول ﷺ قال لحاطب: إذا كان محمداً رسول الله، فلم لم يلعن من آذاه حتى يهلكوا جميعاً؟! قال حاطب: ألم يكن عيسى عليه السلام نبيّاً، فلم لم يلعن اليهوديين الذين أرادوا قتله؟ فعجب المقوقس بجواب حاطب وقال: إنك رجل عالم وجئت من عند عالم هنا.(٨٢)

ولكن هذا الحاطب الذي كان لديه ماضي مشرق زلّ في حدث سياسي، وأصبح محكوماً في الاسلام، بيان ذلك:

بعد قبول حاطب للاسلام هاجر لوحده الى المدينة وترك أهله وعياله وأمواله في مكّة، وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله ﷺ، فصاروا الى عيال حاطب وسألوهم أن يكتبوا الى حاطب يسألوه عن أخبار محمد ﷺ هل يريد أن يغزو مكّة، فكتبوا الى حاطب حفظاً على أنفسهم يسألونه عن ذلك، وكانت سارة مغنية نائحة فدخلت مكّة بصورة خفية على هيئة فقيرة حتى لا يعلم أحد أنها دخلت المدينة وأنها جاسوسة قريش.(٨٣)

وأخيراً أتت حاطب وأعطته الرسالة وانتظرت جواب الرسالة وكانت تسعى لأن تعرف أخبار المسلمين ونوايا رسول الله ﷺ.

فكتب حاطب رسالة قصيرة وذلك حتى لا يؤذّي المشركون عياله، وبيّن فيها أن رسول الله ﷺ ينوي غزو مكّة وفتحها، فأعطى سارة الكتاب مع مبلغ من المال حتى توصل الكتاب الى أهل مكة سرّاً.

فخرجت سارة من المدينة خُفيةً فأوحى الله عزّ وجلّ الرسول ﷺ بما فعل حاطب، فبعث ثلاثة من أصحابه الفرسان ورائها وهم عليّ عليه السلام وزبير ومقداد وقال لهم: انطلقوا إليها فوراً وانتزعوا منها الكتاب.

فتوجّهوا الى مكّة وقبضوا على سارة في منطقة «روضة الخاخ» فحققوا معها وفتّشوها فلم يجدوا معها شيئاً، فقال لها علي عليه السلام: والله ما كذبنا على رسول الله ﷺ، ولا كذب رسول الله ﷺ على جبرئيل عليه السلام، ولا كذب جبرئيل عليه السلام على الله جلّ ثناؤه والله لتظهرن الكتاب أو لأوردن رأسك الى رسول الله ﷺ فقالت: تنحيا حتى أخرجه، فأخرجت الكتاب من ضفيرة شعرها.

نعم، كانت سارة تعلم أنه لو نوى علي عليه السلام على شيء، فسوف يفعله حتماً، فخافت وأخرجت الكتاب من قرونها وأعطته علي عليه السلام (وقبض عليها ومنعت من الخروج الى مكّة).

فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وجاء به الى رسول الله ﷺ، وجاءوا بحاطب الى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله ما نافقت ولا غيّرت ولا بدلت، وإنّي أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله حقّاً، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت عزيراً فيها (أي غريباً)، وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي، فأردت أن أتّخذ عندهم يداً.

فأنزل الله جلّ ثناؤه على رسول الله ﷺ بداية سورة الممتحنة حتى يعلم سائر المسلمين بما جرى ولا يفعلون مثله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾.

فأظهر حاطب الندم بكل حياء، فقبل رسول الله عذره وغفر له، ولكن الآية السابقة تخبرنا بأنه يجب على المسلمين ألا يتجسسوا للكافرين حتى قيام الساعة، ولا يكوّنوا معهم صداقة استعمارية، وفي الحقيقة أدانت حاطب.(٨٤)

ولكن هذه الحادثة القرآنية أبطلت الروابط التكتيكية مع العدو والأجنبي وأدان الاسلام كل من يساعد ويعاون الاستعمار.

حقاً لو لم يقبض على تلك الجاسوسة ولو وصلت تلك الرسالة الى مكّة فوراً، لقامت حرب مدمّرة ولقتل الآلاف! ولكن يقظة المسلمين وتوجّههم الى أصول بغتة المشركين والتكتيك النظامي، أدّى الى فتح مكّة بدون قتال.

عقاب الخائن وسط الناس

لما أخذ أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب من سارة (الجاسوسة) وجاء رسول الله ﷺ، أمر النبي ﷺ أن ينادي: الصلاة جامعة، فنودي في الناس فاجتمعوا الى المسجد حتى امتلأ بهم، ثم صعد النبي ﷺ الى المنبر، وأخذ الكتاب بيده وقال: أيها الناس إنّي كنت سألت الله عزّ وجلّ أن يخفي أخبارنا عن قريش،

وإن رجلاً منكم كتب الى أهل مكّة يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي.

فلم يقم أحد، فأعاد رسول اللهﷺ مقالته ثانية وقال: ليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي.

فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف، فقال: أنا يا رسول الله صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي، ولا شكّاً بعد يقيني.

فقال له النبيﷺ: فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب؟

قال: يا رسول الله إن لي أهلاً بمكة، وليس لي بها عشيرة، فأشفقت أن تكون دائرة لهم علينا فيكون كتابي هذا كفا لهم عن أهلي، ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك للشك في الدين.

فقام عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله مرني بقتله فإنه منافق.

فقال رسول اللهﷺ: إنه من أهل بدر ولعلّ الله تعالى اطّلع عليهم فغفر لهم، أخرجوه من المسجد.

فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه، وهو يلتفت الى النبيﷺ ليرقّ عليه، فأمر رسول اللهﷺ بردّه، وقال له: قد عفوت عنك وعن جرمك فاستغفر ربّك ولا تعد بمثل ما جنيت.(٨٥)

تحقق وعد الحقّ

لّما هاجر رسول اللهﷺ من مكّة الى المدينة، قرّر المشركون على قتل النبيﷺ، فهاجر خفيةً الى المدينة، عندما وصل الى منطقة الجحفة (والتي لا تبعد كثيراً عن مكّة) تذكّر موطنه ومحلّ ولادته، مكّة حرم الله الآمن والكعبة بيت الله، والتي ارتبط وتعلّق بها قلبه وروحه، فبدت آثار الشوق والتي كانت مصاحبة بالهمّ العميق والتأثر في وجهه المبارك.

فنزل عليه جبرئيلعليه السلام وقال للرسولﷺ: هل اشتقت لموطنك؟

قال النبيﷺ: نعم.

قال جبرئيلعليه السلام: يقول لك الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾.(٨٦)

وأخيراً وبعد مضى سبع سنوات على هذا الوعد، فتح الرسولﷺ مع جيش الاسلام الباسل مكّة، ورفرفت بها راية الاسلام وتحقق وعد الله سبحانه وتعالى.

وكما قلنا من قبل، لما ورد النبيﷺ مكّة، جاء بجانب الكعبة وشكر الله عزّ وجلّ وخاصةً صدق تحقق وعده تعالى في عودته الى مكّة.

شكر الله سبحانه

من الصفات الحميدة والممتازة عند الانسان هو شكره لوليّ نعمته ومعرفة حقّه.

لّما أراد الرسولﷺ الهجرة من مكّة الى المدينة، التفت الى مكّة وقال: واللهُ يعلمُ أنّي أحبّك ولولا أنّ

أهلك أخرجوني عنك، لما آثرت عليك بلداً ولا ابتغيت بك بدلاً وإنّي لمغتمٌّ على مفارقتك.

وبهذه الحالة هاجر من مكّة، وبعد ثماني سنوات لما ورد مكّة مع المسلمين بكل عزّة وجلال وفتح هذه البلدة المقدّسة ورأى كثرة المسلمين وعظمة الاسلام وكان راكباً الجمل، وضع جبهته على السرج وسجد شكراً لله[٨٧]، شكرٌ جميل وذو معاني كثيرة، الشكر الذي يخبر عن قلب رسول اللهﷺ النوراني المملوء بالمحبة وألطاف الله عزّ وجلّ الغير محدود، ويعلّمنا بأن نذكر الله عزّ وجلّ دوماً والذي منح العزّة والجلال للمسلمين وذلّ الأعداء.

إرجاع الامانة لأصحابها

لما دخل النبيﷺ المسجد الحرام يوم فتح مكّة، طلب عثمان بن طلحة والذي بيده مفتاح الكعبة حتى يفتح له باب الكعبة، ويطهّرها من الأصنام.

وبعد الانتهاء من ذلك سأله العباس عم النبيﷺ أن يعطيه المفتاح حيث كان لمقام صاحب مفتاح بيت الله بين العرب عظمة وشموخ خاص (كان العباس يريد أن يستفيد من نفوذ ابن أخيه السياسي والاجتماعي لمنفعته).

ولكن الرسولﷺ قام على خلاف هذا الطلب، بعد تطهير بيت الله الكعبة من لوث الاصنام وإغلاق بابها بتسليم المفتاح الى عثمان بن طلحة، وكان يتلو هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.[٨٨]

وطبقاً لبعض الروايات: أنّ الرسولﷺ صلى في بيت الله ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح فنزلت الآية (٥٨) من سورة النساء، فأمر النبيﷺ عليّؑ أن يرد المفتاح الى عثمان، ويعتذر إليه.

فقال له عثمان: يا عليّ أكرهت وأذّيت ثم جئت برفق.

فقال عليّؑ: لقد أنزل الله عزّ وجلّ في شأنك، وقرأ عليه الآية، فأسلم عثمان فأقره النبيﷺ في يده.[٨٩]

مفهوم البيعة في الاسلام

البيعة في الاسلام هي إظهار وفاء الأمة لقائدها، وخلاصة معنى البيعة هي أنها نوع من الرابطة المعنوية المحكمة وتعهّد بين المسلمين وقوّادها، ويكون المسلمون مستعدين تمام الاستعداد وبكل وجودهم للفداء في سبيلهم.

بيعة ووفاء الرجال

بعد فتح مكّة وتثبيت الحكومة الاسلامية في مكّة، نصبوا للرسولﷺ خيمة سوداء من شعر بالابطح، وجاء الناس إليه على شكل مجموعات فيقبلون بالاسلام ويبايعونه على الاستقامة في سبيل الاسلام والجهاد والدفاع عنه.

وتعجّب الرسولﷺ لكثرة الناس، فنزل عليه جبرئيلعليه السلام وقال للنبيﷺ: لا تتعجّب فدينك باقٍ ليوم القيامة، وأنزل عليه سورة النصر (السورة ١١٠ من القرآن):

﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ
* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.[٩٠]

وحسب قول المؤرخين أنه في العشرة الأيام الأولى من فتح مكّة، أسلم من المشركين ألفان شخص.

وجاء في تفسير علي بن ابراهيم القمّي: أن رسول اللهﷺ جلس في المسجد (بجانب الكعبة)، وكان الرجال يأتون عليه أفواجاً حتى صلاة الظهر والعصر ويبايعونه.

ثم جاءت النساء للبيعة وجلسن بجانب المسجد وبايعنه.

بيعة النساء

من المسلّم أن البيعة مع قائد الاسلام هي من الامور السياسية، وتدلّ بيعة الناس مع الرسولﷺ على أن الدّين ممزوج بالسياسة ولا يوجد بينهما أية تفرقة، ولذا يجب على كل رجل وامرأة في الأمة أنه يبايعوا الرسولﷺ في سبيل تأسيس الاسلام واستحكامه، وهذا المطلب يدلّ على أنه يجب على النساء أيضاً أن يتدخلّن في أمور الاسلام السياسية ويتطرقن الى حمايته.

وفي تاريخ الاسلام وفي زمن الرسولﷺ بايع النساء مرتان، مرة في بيعة العقبة والتي بايع فيها بضع وسبعون شخص من أهل المدينة (قبل الهجرة) في منطقة العقبة (بقرب مكّة) مع الرسولﷺ وكان من بينهم ثلاثة نساء.

والبيعة الأخرى حصلت في اليوم الرابع من فتح مكّة بين النساء والرسولﷺ، كما تدلّ الآية (١٢) من سورة الممتحنة على هذا المطلب، وهي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وشروط البيعة هي:

١- أن لا يشركن بالله شيئاً من الاصنام والأوثان.

٢- ولا يسرقن من أزواجهن ولا من غيرهم.

٣- ولا يزنـين.

٤- ولا يقتلن أولادهن لا بالوأد ولا بالاسقاط.

٥- ولا يأتين ببهتان يفترينه أي بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين أيديهن وأرجلهن أي لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم (حيث كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك).

٦- ولا يعصين الرسولﷺ في معروف وهو جميع ما يأمرهن به.

وكان الرجـال يبايعـون النبـيﷺ بـمـصافحتـه باليـد فـكان يجعل الرسـولﷺ يده فـوق أيديهم ويبايعهم، ولكن بالنسـبة الى بيعة النسـاء، قيل أن النبيﷺ دعا بقدح من ماء وعطّره بقليل من العطر ثـم غمـس يـده فيه، وتلا الآية السـابقة (والتي تحتوي على سـتة مـواد وشروط للبيعة)، ثـم قام وقال للنسـاء: مـن أرادت أن تبايعنـي على تلك الـشروط فلتضع يدها في المـاء وتعلن رسـمياً وفاءها بتلك الشروط.(٩١)

جاء في تفسير علي بن أبراهيم القمي: أن رسول اللهﷺ قعد في المسجد يبايع الرجال الى صلاة الظهر والعـصر ثـم قعد لبيعة النســاء وأخـذ قدحا من ماء فأدخل يده فيه ثم قال للنسـاء: مـن أراد أن يبايع فلتدخل يدها في القدح فإني لا أصافح النساء.

فقامت أم حكيم ابنة الحارث ابن عبد المطلب وقالت: يا رسول الله ما هذا المعروف الذي أمرنا الله به أن لا نعصيك فيه؟

فقال:

١- أن لا تخمشن وجهاً.

٢- ولا تلطمن خدّاً.

٣- ولا تنتفن شعراً.

٤- ولا تمزقن جيباً.

٥- ولا تسودن ثوباً.

٦- ولا تدعون بالويل والثبور.

٧- ولا تقيمن عند قبر.(٩٢)

فبايعن الرسولﷺ على هذه الشروط.(٩٣)

وطبقاً لبعض الروايات، أن التي سألت الرسولﷺ عن كلمة ﴿المعروف﴾ هي أم حكيم بن حارث بن هشام.

وجاء في بعض الروايات الاخرى أنه لمّا اعلن الرسولﷺ عن شروط البيعة قال من ضمنها: لا تسرقن.

فقامت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان والتي كانت متنقّبة ومتنكّرة مع النساء خوفاً أن يعرفها رسول اللهﷺ وقالت: إن أبا سفيان رجلٌ ممسك،وإني أصبت من ماله هنات، فلا أدري أيحلّ لي أم لا؟

فقال أبو سفيان والذي كان حاضراً: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال.

فضحك رسول اللهﷺ وعرفها، فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟

قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك.

فقال رسول اللهﷺ من ضمن شروط البيعة: لا تزنين.

فقالت هند لتغطّي منكراتها: أو تزني الحرّة؟

وبهذا الترتيب، بايعت النساء أيضا الرسولﷺ على أساس قوانين الاسلام، وأعلنّ وفاءهن للاسلام وعلى هذا الاساس قبل الرسولﷺ بيعتهن.

العفو عن الوحشي غلام جبير بن مطعم

كان وحشي عبداً لجبير بن مطعم أحد رؤساء المشركين وكان جبير عم «طعيمة» الذي قتل في غزوة بدر على يد سيد الشهداء حمزة‰.

وكانت هند زوجة أبو سفيان والتي قتل والدها وأخيها وابنها في غزوة بدر، متعطّشة لقتل الرسولﷺ وعليّ‰ وحمزة‰.

وكانت تخطط لقتل هؤلاء حتى تنتقم لنفسها، وفي خلال بحثها وجدت أن وحشي هو الرجل المناسب لهذا العمل.

فطلبته وجاءها ثم قالت له: إن قتلت أحد هؤلاء الثلاثة (محمد أو علي أو حمزة)، فعلاوةً على أنّي سأشتريك من مولاك فسوف أعتقك، وسأعطيك كل ما تريد، وسوف يساعدك جبير بالتأكيد لأن عمّه قتل يوم بدر على يد حمزة.

فانخدع وحشي بخدع الدنيا وقبل باقتراح هند في قتل حمزة‰ وقال: أما محمد فلا حيلة لي فيه.

لّما حدثت غزوة أحد (في السنة الثالثة من الهجرة) في جبل أحد بالقرب من المدينة بين المشركين

والمسلمين، أخذ وحشي رمحاً وكمن لحمزة، حتى رآه يهدّ الناس هدّاً فاستغل انشغاله بالقتال ورماه برمحه فوقعت في خاصرة حمزةؑ وخرجت من خلفه، فجرى حمزةؑ كالأسد خلف وحشي، ولكنه فرّ من حمزةؑ كالثعلب.

ونزف حمزةؑ حتى سقط على الارض واستشهد.[٩٤]

لذا كان وحشي من بعد فتح مكّة من الفارين وقد حكمت عليه الحكومة الاسلامية غيابياً بالاعدام.

ولكنه ندم على إقدامه لمثل تلك الجناية، وكان يتأمل الفرصة المناسبة لإعلان ندمه ويتوب حتى يعفو عنه رسول اللهﷺ لما فتحت مكّة في السنة الثامنة للهجرة، وكان يعيش هارباً في الطائف لما وصل الى مسامعه الآية (٥٣) من سورة الزمر فتأمل عفو الله عزّ وجلّ ومغفرته ويقول الله تعالى في هذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

فقدم وحشي مع عياله الى مكة بعد فتح مكّة آملاً العفو، وأتى رسول اللهﷺ، وعرّف نفسه وأسلم وشهد بوحدانية الله عزّ وجلّ وبرسالة محمّدﷺ.

قال رسول اللهﷺ: أنت وحشي؟

قال: نعم.

قال الرسولﷺ: كيف قتلت عمّي حمزة؟

فأخبره بكيفية قتله، فبكى الرسولﷺ بكاءاً شديداً ونزلت قطرات دموعه على سيمائه النوراني وفي نفس الوقت عفا الرسولﷺ عنه وأصبح حرّاً، ولكنّه قال له: غيّب وجهك عنّي (اذهب الى مكانٍ آخر لا أستطيع رؤية وجه قاتل عمّي العزيز).

وبهذا الترتيب، تمّ إعفاء وحشي بالرغم من جنايته الكبيرة، ومن بعده أصبح من الحماة للاسلام فقتل مسيلمة الكذّاب الذي ادّعى بالنبوة، وكان معه أبو دجانة الانصاري (كان ذلك في زمن أبو بكر في غزوة اليمامة).

وبعد هذه الحادثة قال وحشي: قتلت أفضل الناس (حمزة) وأسوأ الناس (مسيلمة).

وجاء في بعض الاحاديث: حمزة وقاتله (وحشي) من أهل الجنة.[٩٥]

وبهذا الترتيب نجد أن الرسولﷺ في فتح مكّة عفا عن أشخاص كوحشي والذين قبلوا بالاسلام، على أساس دستور القرآن.

لوحة عن غزوة حنين

بعد فتح مكّة اجتمع قبيلة الهوازن مع الثقيف وهما من أكبر القبائل والذين كانوا يعيشون في الطائف (وتبعد ١٢ فرسخ عن مكّة من جهة الجنوب الشرقي لمكّة) وحولها، واتفقوا على أن يقاتلوا المسلمين.

وبدأت القصة عندما جمع مالك بن عوف رئيس طائفة الهوازن، الطائفتين المذكورتين وقال لهم: من الممكن أن يقوم محمدﷺ بعد فتح مكة بغزونا، فقالوا الجمع: إنه من الأفضل أن نتهيأ قبل أن يأتينا المسلمين.

وبعد هذا الاتفاق هيّأوا السلاح واستعدوا للحركة الى مكّة.

فجمع مالك بن عوف الجموع من جميع القبائل المحيطة، وانضمّ اليهم عدد قليل من قبائل قيس، عيلان، كعب وكلاب.

ولّما اجتمع المقاتلون أمرهم مالك بأن يسوقوا معهم أموالهم ونسائهم وذراريهم حتّى الحيوانات والإغنام ساقوهم معهم، وكان الهدف من ذلك حتى لا يفرّوا ولو كان لحفظ ناموسهم وأموالهم.

وتعرف هذه الغزوة بغزوة حنين، لأنها جرت في حنين التي تقع بين مكّة والطائف، وأحياناً تسمى هذه الغزوة بغزوة الأوطاس، لأنه بعض هذه الغزوة وقعت في الأوطاس.

وأحياناً تسمى بغزوة الهوازن، لأن أغلبية العدو في هذه الغزوة كانوا من قبيلة الهوازن.

اعتراض الشيخ الأعمى

لّما وصل جيش العدو والهوازن والمكوّن من ثلاثين ألف مقاتل الى منطقة الأوطاس، رأوها مناسباً للقتال فاختاروها من دون المناطق الأخرى.

وكان دريد بن الصمّة الجشمي في القوم، وكان رئيس جشم، وكان شيخاً كبيراً قد ذهب بصره فقال: ما لي أسمع رغاء البعير، ونهيق الحمار، وخوار البقر، وثغاء الشاة وبكاء الصبي؟

فقالوا: إنّ مالك بن عوف ساق مع الناس أموالهم ونسائهم وذراريهم ليقاتل كل امرئ عن نفسه وماله وأهله.

ثم قال: ادع لي مالكاً، فلما جاء قال له دريد: ويحك لم تصنع شيئاً، قدمت بيضة هوازن في نحور الخيل وهل يرد وجه المنهزم شيء؟ اردد بيضة هوازن الى عليا بلادهم وممتنع محالهم، والق الرجال على متون الخيل، فإنه لا ينفعك إلا رجلٌ بسيفه وفرسه، فإن كانت لك لحق بك من ورائك، وإن كانت عليك لا تكون قد فضحت في أهلك وعيالك.

ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يحضر منهم أحد.

قال: غاب الجد والحزم، لو كان يوم علاء و سعادة ما كانت تغيب كعب ولا كلاب.

فلم يقبل مالك بكلامه واعترضه وقال: إنك قد كبرت وكبر علمك.

ثم أعلن وقال: ليصير كل رجلٍ منكم أهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم، واحملوا حملة رجل واحد.

فبعث مالك جواسيس لإخباره بأوضاع المسلمين، وبعد مدّة عادوا بوجوه مصفرّة وحزينة.

فسألهم مالك عن علّة ذلك، فقالوا: رأينا رجال بيض على خيول أبلق لذا رعبنا.(٩٦)

فعلم رسول اللهﷺ بقرار قبيلة الهوازن، وعيّن عتّاب بن أُسيد حاكماً على مكّة وطلب من صفوان بن أميّة والذي كان مشركاً، أسلحة.

فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟

قال: لا، ولكن عارية مضمونة.

قال: لا بأس بهذا، فأعطاه مائة درع.

فخرج رسول اللهﷺ في ألفين من مكة وعشرة آلاف كانوا معه، فساروا حتى وصلوا وادي حنين(٩٧) ودفع رايته الى أمير المؤمنينعليه السلام، (حصلت هذه الغزوة في آخر شهر رمضان أو شهر شوال في السنة الثامنة من الهجرة، وذلك يعني أن الفترة الزمنية التي كانت بين الغزوة وفتح مكّة أقل من شهر).

وقال مالك بن عوف قائد جيش العدو والذي كان رجلاً شجاعا وخبيثا لقومه: إنّ محمداً لم يلق أحداً يحسن الحرب.

ثم قال: اكسروا جفون سيوفكم، واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر، فإذا كان في غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد وهدوا القوم.

فصلّى الرسولﷺ مع أصحابه صلاة الصبح ثم أمرهم بالحركة، ثم انحدروا الى حنين.

ثلاثة عوامل للهزيمة

في البداية لما واجه المسلمين جيش الهوازن - كما سيأتي ذكره لاحقاً - انهزم المسلمون وفرّوا، ثلاثة أسباب أدّت الى هزيمة المسلمين في البداية وهي:

١- غرورهم لكثرتهم (كما نستفيد هذا المطلب من الآية (٢٥) من سورة التوبة).

٢- كمين العدو في شعاب الوادي وفي الشجر وجهل المسلمين لهذه الخطّة.

٣- وجود ألفين مسلم أسلموا حديثاً، فأثّر فرارهم على سائر المسلمين مما أدّى الى تضعيف

روحيّتهم.

بيـان ذلك: نقرأ في الآية (٢٥) من سـورة التوبة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

روى في ذيـل الآية أن أحد المسـلمين قـال بغرور: لن نغلب اليوم، وهذا الغرور لكثرتهم (وسـواد الجيـش) والـذي أدّى لخـروج الايمان والتـوكّل الكامل على الله عـزّ وجلّ، كان سـبباً للهزيمة، والآن لنتوجه الى القصة:

لمـا وصـل جيش الاسـلام الى وادي حنين، خـرج عليهم كتائب هـوازن من كل ناحيـة، فانهزمت المجموعة التي كانت في المقدمة (كانوا قد أسـلموا حديثاً)، وانهزم الذين من ورائهم، ولم يبق أحد إلا انهزم، وبدت آثار الانهزام على جيش الاسلام.

والعجيـب هنا أن الذي بقى منهم تسـعة أشـخاص فقـط[٩٨]، مع الرسـولﷺ، وكان من ضمنهم عليعليه السلام وعباس (عم النبي) وعدّة أشخاص من بني هاشم، حيث قاتلوا وقاوموا بكل شجاعة.

فقال الرسولﷺ للعباس وكان رجلاً جهورياً صيتاً: ناد بالقوم، وذكرهم العهد.

فنادى العباس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، الى أين تفرون؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول اللهﷺ.

فلما سـمع الـمسـلـمـون صـوت العبـاس تراجعوا وقالـوا: لبيك لبيـك، وتـبـادر الانـصـار خاصـة، ونـزل النصر من عنـد الله، وانهزمت هوازن هزيمة سـاحقة وقبيحة، فمـروا في كل وجه، ولم يزل المسـلمون في آثارهم، وقتل منهم زهاء مائة رجل، وأغنم الله المسـلمين أموالهم ونسـاءهم، وأسر بعضهم.

أدّى غرور كثرة جيش الاسـلام وعدم إطّلاعهم الكافي لكمين العدو ووجود ألفان مسلم أسلموا حديثاً وفرارهم والذي بعث على تضعيف نفوس الآخرين، الى هزيمة جيش الاسـلام ظاهرياً، ولكن ثبات واستقامة رسول اللهﷺ وعليّعليه السلام وقلة أخرى (المجموع الكلي تسعة أشخاص)، أدّى الى انتصار المسلمين انتصاراً عظيماً.

نعـم، إن أهـم عامـل للانتصار هـو التوكّل عـلى الله والايمان به والـذي يرتقي بالـروح ويضعّف العدو، يقول الله عزّ وجلّ في سورة التوبة، الآية (٢٥): ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

وطبقـاً لبعـض الروايـات أنّ الله جـلّ ثناؤه نصر المسـلمين في ثمانـين موطن وهذا هـو الامدادات الغيبيـة والجيـش الغـير مرئـي ممـا أدّى الى اطمئنان المسـلمين ونزول العـذاب والعقاب الشـديد على

الكافرين.(١٠٠)

لما انهزم المشركون تفرقوا فرقتين، فأخذت الأعراب ومن تبعهم الى أوطاس، وأخذت ثقيف ومن تبعها الى الطائف(١٠١)، فبعث النبيﷺ أبا عامر الأشعري الى أوطاس في جماعة، فتقدم أبو عامر بالراية وقاتل حتى قتل دونها، فأخذ الراية أخاه أبو موسى الأشعري فقاتل المسلمون حتى فتح الله عليهم ونصرهم (وجاء في التاريخ، أن هذه الغزوة سمّيت بغزوة الاوطاس).(١٠٢)

ثم سار جيش الاسلام بأمرٍ من رسول اللهﷺ الى الطائف، وحاصروا حصن الطائف أياماً، وقيل عشرة أيام وقال البعض الآخر أنهم حاصروهم عشرين أو ثلاثين يوماً (وجاء في التاريخ أن هذه الغزوة هي غزوة الطائف).

ثم خرج من حصن الطائف مجموعة من قبيلة الثقيف بقيادة نافع بن غيلان لقتال جيش الاسلام، فلقيه أمير المؤمنين عليّعليه السلام في خيله ببطن «وج»(١٠٣) فقتله عليّعليه السلام، وانهزم المشركون ولحق القوم الرعب، فنزل منهم جماعة الى النبيﷺ فأسلموا، ولكن لم يفتح الحصن ذو الجدران العالية وأبراج المراقبة.

ثم جاء الرسولﷺ مع جيش الاسلام المنتصر منطقة الجعرانة ومعه غنائم كثيرة، وقسّم بها الغنائم على المسلمين.(١٠٤)

ثم عاد رسول اللهﷺ مع المسلمين الى مكّة واعتمروا، ثم عيّن محافظاً على مكّة وجعل أنظمة مكّة تحت نظر الحكومة الاسلامية ثم خرج مع الجيش الى المدينة ووصلوها يوم ٢٤ من ذي القعدة ودام هذا السفر الحربي ثمانين يوماً.

حيث كانوا قد خرجوا من المدينة ثاني يوم من رمضان وعادوا إليها في ٢٤ من ذي القعدة.

والقول الآخر هو أن الرسولﷺ ظلّ مع المسلمين في مكّة حتى العشرة الأولى من ذي الحجة للسنة الثامنة من الهجرة ثم عادوا الى المدينة بعد أداء مناسك الحج.

كانت هذه خلاصة للحماسة العظيمة للمسلمين في غزوة حنين والمأخوذات العظيمة التي حصل عليها الرسولﷺ والمسلمون في سفرهم الثمانين أو المائة يوم من المدينة الى مكة والطائف والعودة الى المدينة.

ولإدراك مدى عظمة هذه الغزوة والانتصار العظيم للمسلمين (مع التوجه الى كثرة جيش الكافرين) يكفي أن نعرف أنه: في هذه الغزوة أسر المسلمون نحو ستة آلاف مشرك من الأعداء وغنموا ٢٤ ألف بعير و٤٠ ألف شاة و ٨٥٢ كيلو من الفضة.

ونقل البعض: أنهم حصلوا على غنائم كثيرة لا يحصى من شاة وبعير.(١٠٥)

فنال الرسول الاعظم ﷺ بتدبيره النظامي الدقيق وبتقوية بنية المسلمين المعنوية والمادية على مثل هذا الانتصار العظيم والذي لم يحصل المسلمون على مثل عظمة ذلك الانتصار من قبل.

غزوة ذات السلاسل ونزول سورة العاديات

من إحدى الغزوات التي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة، ومجاهدات أمير المؤمنين علي عليه السلام أدّى فيها الى انتصار عجيب ونزلت فيها سورة العاديات، السورة المائة من القرآن، هي غزوة ذات السلاسل.

نقرأ في الآيات الخمسة الأولى من هذه السورة:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ٨ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾.

وبهذه المناسبة نلفت نظركم الى شرح غزوة ذات السلاسل:

كانت السنة الثامنة من الهجرة لما بلغ المدينة خبر اجتماع اثنى عشر ألف فارس في وادي يابس ليتعاهدوا على قتل محمد ﷺ وعليّ عليه السلام، فأمر الرسول ﷺ عليّاً عليه السلام بالسير الى وادي يابس، فأجابه عليّ عليه السلام بقلبه وروحه.

وكانت لعليّ عليه السلام عصابة لا يتعصب بها حتى يبعثه النبي ﷺ في وجه شديد، فمضى الى منزل فاطمة عليها السلام فالتمس العصابة منها، فقالت: أين تريد؟ وأين بعثك أبي؟ قال: إلى وادي الرمل.

فبكت إشفاقاً عليه، فدخل النبي ﷺ وهي على تلك الحال فقال لها: ما لك تبكين؟ أتخافين أن يقتل بعلك؟ كلا إن شاء الله.

فقال له عليّ عليه السلام: لا تنفس علي بالجنة يا رسول الله، ثم خرج ومعه لواء النبي ﷺ فسار مع عساكر الاسلام الى وادي يابس، فأخذ طريقاً آخر غير الطريق المعروف ثم كانوا يسيرون ليلاً وفي النهار يستخبئون وراء الصخور والتلال، وبهذا الترتيب تقدم حتى وافى القوم بسحر، فلما كان وجه الصبح أغار عليهم.

وفي هذا الوقت، كان العدو في حالة شبه نوم فلم يستطع أن يفعل شيئاً فتفرقوا مفتضحين ومنهزمين.[(١٠٦)]

يقول العالم الكبير الشيخ مفيد في كتاب «الارشاد»: بعدما هجم عليّ عليه السلام على العدو قتل منهم ستة أو سبعة، وانهزم المشركون وظفر المسلمون، وحازوا الغنائم، وتوجه الى النبي ﷺ.

فروى عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان نبي الله ﷺ قائلاً في بيتي إذا تنبه فزعاً من منامه، فقلت له: الله جارك، قال: صدقت الله جاري، لكن هذا جبرئيل عليه السلام يخبرني أنّ عليّاً عليه السلام قادم.

ثم خرج الى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليّاً، فقام المسلمون له صفين مع رسول اللهﷺ، فلما بصر بالنبيﷺ ترجل عن فرسه، وأهوى الى قدميه يقبلهما، فقال لهﷺ: اركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان.

فبكى أمير المؤمنين فرحاً، وانصرف الى منزله وتسلم المسلمون الغنائم، فقال النبيﷺ لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟

قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلا أنه لم يؤم بنا في صلاة إلا قرأ فيها بقل هو الله، فقال النبيﷺ أسأله عن ذلك، فلما جاءه قال له: لم لم تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الاخلاص؟

فقال: يا رسول الله أحببتها، قال له النبيﷺ: فإن الله قد أحبك كما أحببتها، ثم قال له: يا عليّ لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك.(١٠٧)

هلاك مقاتلين العدو على يد عليّعليه السلام

طبقاً لروايات أخرى في قصة غزوة ذات السلاسل أنه لما اقترب عليّعليه السلام مع جيشه الى العدو التفت الى صاحب راية النبيﷺ فقال له: ارفعها، فلما أن رفعها ورآها المشركون عرفوها، وقال بعضهم لبعض: هذا عدوكم الذي جئتم تطلبونه، هذا محمد وأصحابه، فخرج غلام من المشركين من أشدهم بأساً وأكفرهم كفراً فنادى أصحاب النبي: يا أصحاب الساحر الكذاب، أيكم محمد؟ فليبرز إلي.

فخرج إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وهو يقول:

ثكلتك أمك أنت الساحر الكذاب، محمد جاء بالحق من عند الحق، قال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، أخو رسول الله، وابن عمه، وزوج ابنته، قال: لك هذه المنزلة من محمد؟

قال له علي: نعم، قال: فأنت محمد شرع واحد، ما كنت أبالي لقيت محمداً، ثم شد على عليّعليه السلام ورجز بأبيات من الشعر، وأجابه علي بن أبي طالبعليه السلام ورجز بأبيات من الشعر ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فاختلف بينهما ضربتان، فضربه عليعليه السلام ضربة فقتله، وعجّل الله بروحه الى النار، ثم نادى أمير المؤمنينعليه السلام: هل من مبارز؟

فبرز أخ المقتول، وحمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه أمير المؤمنينعليه السلام ضربة فقتله وعجّل الله بروحه الى النار، ثم نادى عليعليه السلام: هل من مبارز؟

فبرز له الحارث بن مكيدة وكان صاحب الجمع، وهو يعد بخمسمائة فارس، وحمل كل واحد منهما على صاحبه فضربه عليّ ضربة فقتله، وعجّل الله بروحه الى النار، ثم نادى عليّعليه السلام: هل من مبارز؟

فبرز إليه ابن عمّه يقال له: عمرو بن الفتاك ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فضربه عليّ عليه السلام ضربة فقتله، وعجّل الله بروحه الى النار، ثم نادى عليّ عليه السلام: هل من مبارز؟

فلم يبرز إليه أحد، فشد أمير المؤمنين عليه السلام حتى توسط جمعهم، فقتل عليّ عليه السلام مقاتليهم، وسبا ذراريهم، وأخذ أموالهم، وأقبل بسبيهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فخرج وجميع أصحابه حتى استقبل عليّ عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة، وأقبل النبي صلى الله عليه وآله يمسح الغبار عن وجه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بردائه، ويقبل بين عينيه ويبكي، وهو يقول: الحمد لله يا عليّ الذي شدّ بك أزري وقوّى بك ظهري، يا عليّ إنني سألت الله فيك كما سأل أخي موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه، أن يشرك هارون في أمره، وقد سألت ربّي أن يشد بك أزري.

ثم التفت إلى أصحابه وهو يقول: معاشر أصحابي لا تلوموني في حب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنما حبّي عليّاً من أمر الله، والله أمرني أن أحب عليّاً وأدنيه، يا عليّ من أحبك فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب الله أحبه الله وحقيق على الله أن يسكن محبّيه الجنة، يا عليّ من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أبغض الله أبغضه ولعنه، وحقيق على الله أن يقفه يوم القيامة موقف البغضاء ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً.[١٠٨]

حرق وهدم مسجد ضرار

لما هاجر الرسول صلى الله عليه وآله الى المدينة، أحاط به المسلمين وانتشر الاسلام بصورة ملحوظة، بالاضافة الى انتصار المسلمين في غزوة بدر مما أدّى الى علو الاسلام وإضافته رونقاً جديداً.

قام أحد المسيحيين ويسمى أبو عامر والذي كان من المبشّرين بظهور رسول الاسلام بالمبارزة ضد الاسلام بعدما انتشر الاسلام سريعاً وتركه من كان حوله، فهرب من المدينة الى مكّة، واستمدّ من كفّار مكّة العون للحرب ضد الرسول صلى الله عليه وآله، وحزب على النبي الأحزاب.

فهو الذي خطّط لغزوة أحد ضد المسلمين، وهو الذي أمر بحفر الحفر بين الصّفين، حيث سقط الرسول صلى الله عليه وآله في إحداهن وجرح وكسر ضرسه.

وبعد غزوة أحد هرب أبو عامر الى الروم وذهب الى ملك الروم هرقل، وطلب منه أن يجهّز جيشاً لمحاربة المسلمين وإخراج محمداً من المدينة، ووصلت وقاحته الى درجة أنه كتب لمنافقين المدينة أن استعدوا وابنوا مسجداً للأعمال الحسنة من التوسعة على أهل الضعف والعلّة من المسلمين ظاهريّاً، ولكنه في الحقيقة ليكون مركزاً للعمل على ضد الاسلام فيما بعد.

فبنى المنافقون والذين كانوا يظهرون الاسلام مسجداً بجانب مسجد قباء، وعيّنوا شاباً عارفاً

للقرآن إماماً للمسجد ويسمى مجمع بن جارية.

كانت السنة التاسعة من الهجرة عندما أمر الرسولﷺ المسلمين بالسير الى جبهة تبوك للحدّ من تجاوزات جيش الروم، وأثناء ذلك جاء باني المسجد الى الرسولﷺ حتى يذهب الى المسجد ويفتتحه، ولكنهﷺ أجلّ هذا الموضوع بسبب سيره الى تبوك.

وبعد انتصار المسلمين في غزوة تبوك عاد الرسولﷺ الى المدينة، فجاءه المنافقين ودعوه لافتتاح المسجد، ولكن بنزول الآيات (١٠٧) وحتى (١١٠) من سورة التوبة كشف عنهم غطاء حيلتهم، وعرّف ذلك المسجد بمسجد ضرار، ونهى الله عزّ وجلّ نبيه بأن يقوم ويصلي في هذا المسجد، وأمره بأن يصلي في مسجداً أسس أساسه على التقوى منذ أول يوم وضع أساسه وهو مسجد قباء.

وفي الآية (١٠٧) من سورة التوبة تم انتقاد المنافقين بشدة وتوبيخهم حيث نقرأ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

فلم يصل الرسولﷺ بذلك المسجد وليس ذلك فحسب، بل أمر مجموعة من المسلمين بإحراقه وهدمه، فقاموا بحرق سقف المسجد بالنار، ثم هدموا حائطه وجعلوه محلاً للقاذورات حيث أمرهم الرسولﷺ بأن يتّخذ كناسة تلقي فيه الجيف.[١٠٩]

وبهذا الترتيب وقف الرسولﷺ أمام المنافقين بكل قاطعيّة، وهدم محل اجتماعاتهم وفضحهم، وأفشل خطّة أبي عامر المؤذية، وأعطى درساً مهماً للمسلمين حتى يوم القيامة ألا وهو أن يكونوا حذرين من المنافقين ولا ينطوي عليهم حيلهم، وأن يحرقوا قواعدهم حتى لو كانت مساجد ويجعلونها محلاً للقاذورات والجيف.

جاء في ديوان المثنى: أن المنافقين جاءوا الى رسول اللهﷺ وبيد كل منهم قرآن وأقسموا قسماً غليظاً بأنهم لا ينوون على ذلك، وبرأوا أنفسهم وقالوا: بنينا المسجد للذي بيته بعيد، فيستطيع الاستفادة من هذا المسجد.

فقال الرسولﷺ: ابتعدوا عنّي أيها المحتالون.

ولكنهم صاحوا وقالوا: حاش لله أن ننوي السوء من وراءه، وأقسموا على ذلك.

فقال أحد الاصحاب والذي انخدع بلسانهم الجميل: لماذا يفضح الرسولﷺ الشّيب الموقّرين؟ لماذا لا يستر عليهم؟ أليس العفو والمغفرة من الصفات العالية؟ لماذا لا يعفو؟ لماذا؟ ... ولماذا؟ ...

فبات وفي ذهنه هذه الأوهام حتى رأى في المنام مسجد ضرار فوق فضلات الحيوانات، وكانت أحجاره من النجاسة وكشف له باطنه، فشاهد الوجه القبيح للنفاق، ففزع وهرب حتى يمحي عن

قلبه آثار سوء خداعه بالمنافقين.[١١٠]

عقاب المخالفين والاضراب عنهم

كانت السنة التاسعة من الهجرة لما وصل الخبر الى رسول الله ﷺ أن امبراطور الروم تهيأ واستعد للهجوم على مركز الاسلام المدينة، فواجه النبي ﷺ عدّة مشاكل صعبة لمحاربة الروم منها:

١- كان أمر الرسول ﷺ بالخروج من المدينة والجهاد لغزوة الروم، في وقت إدراك الثمرات.

٢- وكان الجو حار جداً لذا صاحب سفرهم مشاكل كثيرة نظراً لبعد تبوك عن المدينة.

٣- قتال الروم الدولة العظيمة وفي بلاد الروم (تبوك) زاد في صعوبة الحرب، لأن الروميين كانوا مسيطرين هناك على كل شيء.

٤- وترك المدينة لمدة شهران كان أيضا أمر صعب ومشكلة.

وبإعلان الرسول ﷺ بتكوين جيش منظّم مكوّن من ثلاثين ألف مقاتل ساروا الى تبوك بقيادة الرسول ﷺ.

وامتنع المنافقون المشاركة في الحرب لقلة ايمانهم ونفاقهم واحتالوا لتوهين أمر الرسول ﷺ وإيقاع الاختلاف بين المؤمنين وإلقاء الشبهة الى ضعفاء المسلمين وفي قتل الرسول ﷺ بكل ما أمكنهم فيه فلم يقدروا عليه.

لما تحرك الرسول ﷺ مع الجيش الاسلامي المنظم من المدينة قاصداً تبوك تخلف عنهم رجال ثلاثة وهو: هلال، كعب ومرارة، بالرغم من أنهم كانوا مسلمين ومؤمنين إلا أنهم انشغلوا بالحصاد وعندما انتهوا رأوا أنهم لن يصلوا الى جيش الاسلام ولكنهم علموا أنهم ارتكبوا خلاف كبير لتأخّرهم بالالتحاق بجيش الاسلام وتوانيهم عن الاستعداد حتى فاتهم المسير، ووصل المدينة خبر انسحاب جيش الروم برؤيته لعظمة جيش الاسلام، فلم تقع الحرب وترك جيش الاسلام المنطقة وعاد الى المدينة، ولما بلغ خبر عودة عساكر الاسلام الى المدينة قرر هؤلاء الثلاثة أن يستقبلوا الرسول ﷺ والمسلمين ويباركونهم ويعتذرون الى الرسول ﷺ، فخرجوا من المدينة وأتوا الرسول ﷺ، ولكنه لم يعتني بهم ولم يرد عليهم سلامهم، وبعد دخولهم المدينة أمر المسلمين بأن يقطعون روابطهم بهم ويضربون عنهم ونهى عن مكالمتهم وأمر نساءهم باعتزالهم فضاقت عليهم الدنيا حيث قال الله عزّ وجلّ في القرآن: ﴿إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾.[١١١]

فأصبحوا يبحثون عن حلٍ لمشكلتهم وأخيراً استنتجوا أنه لا ملجأ لهم إلا الله عزّ وجلّ.

واستمرّ الاضراب لمدة خمسين يوماً ولكنهم بعد مرور أربعين يوماً خرجوا من المدينة وهاموا في

الصحـاري يعبدون الله ويناجونه وقـد صاموا الايام الثلاثة الاخيرة وأظهروا الندامة واسـتغفروا الله وطلبوا منه العفو حتى نزل جبرئيل‌عليه السلام على الرسولﷺ وأنزل الآية ١١٨ من سورة التوبة فبعث اليهم الرسـولﷺ بالبشـارة وقبول توبتهم، وأصبح المسلمون يتدرونهم ويبشرونهم، قال كعب: فجئت الى رسـول اللهﷺ في المسـجد، وكانﷺ إذا سرّ يسـتبشر كأن وجهـه فلقة قمر، فقـال لي ووجهه يبرق من السرور: أبشر بخير يوم طلع عليك شرفه منذ ولدتك أمك.

قال كعب: فقلت له: أمن عند الله أم من عندك يا رسول الله؟

فقال: من عند الله، وتصدّق كعب بثلث ماله شكراً لله على توبته.[(١١٢)]

حقاً، إن هذا الاضراب والانكار والذي هو نوع من النهي عن المنكر كان مؤثّراً، لدرجة أن الذين انغمسـوا في الدنيا والذي أدّى الى تخلّفهم عن الحرب، قد تركوا الدنيا وابتعدوا عنها وكانوا مستعدين للتصدّق بجميع أموالهم في سبيل الله ورسول اللهﷺ.

تدابير الرسولﷺ للقضاء على مؤامرة الاختلاف

كان بـين طائفتـي الخـزرج والأوس نزاعـات وحـروب واختلافـات في المدينة وذلـك قبل هجرة الرسـولﷺ الى المدينـة، وبدخـول النبـيﷺ المدينة تآخـوا وانتهى الاختـلاف والنـزاع بينهم، ولكن كانـت هنـاك بقايا في أذهان بعضهـم وكان من اللازم المراقبة الكاملة حتى لا تتأجج شـعلة النار تحت الرماد، وكانت الأعداء تنتظر الفرص لتجديد الاختلاف بين الأوس والخزرج والذين كانوا يتعذّبون لرؤيتهم اتحاد المسلمين وانسجامهم والذي يرونه العامل القوي لتقدّم الاسلام.

وجـاء في الروايـة أنه ذات يوم مرّ شـاش بـن قيس والذي كان شـيخاً يهودياً ذو قلب أسـود، على نفـر مـن الاوس والخزرج يتحدثـون فغاظه ما رأى من تألفهم بعد العداوة، فأمر شـاباً معه من اليهود أن يجلـس بينهـم فيذكرهم يـوم بغاث (المنطقة التـي وقعت فيها حرب بـين الاوس والخزرج) ففعل، فتنازعـوا وتفاخـروا حتى وثـب رجلان، أوس بن قرظي مـن الأوس، وجبار بـن صخر من الخزرج فتقاولا وغضب الفريقان، وتواثبوا للقتال.

فبلغ ذلك رسـول اللهﷺ فجـاء حتى وعظهم وأصلح بينهم فسـمعوا وأطاعوا واحتضنوا بعضهما البعض وهم في حالة من البكاء الشديد، وأدركوا أنها كانت خطة ومؤامرة من مؤامرات العدو والتي أبطلها حديث الرسولﷺ.

وتشير الآيات من (١٠٠) وحتى (١٠١) من آل عمران الى هذا المطلب، حيث نقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوَاْ إِن تُطِيعُـواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِيـنَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِيـنَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ

تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.(١١٣)

وهناك حادثة أخرى تختص بهذا الموضوع: افتخر رجلان من الاوس والخزرج: ثعلبة بن غنم من الاوس، وأسعد بن زرارة من الخزرج، فقال الاوس: منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين (وهو الوحيد الذي يقبل منه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شهادتين)، ومنا حنظلة غسيل الملائكة (الذي استشهد في غزوة أحد)، ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الديار، ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له، ورضي الله بحكمه في بني قريظة.

وقال الخزرجي: منا أربعة أحكموا القرآن: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم، فجرى الحديث بينهما تعصباً وتفاخراً، وناديا فجاء الاوس الى الأوسي، والخزرج الى الخزرجي، ومعهم السلاح، فبلغ ذلك النبيﷺ فركب حماراً وأتاهم فأنزل الله الآيات (١٠٢) و (١٠٣) من سورة آل عمران، فقرأها عليهم فاصطلحوا.

وكانت بياناتها مؤثرة وذات استقامة على الجميع، وجعلتهم أخوة الى يوم القيامة، ونقرأ في الآية (١٠٣) من آل عمران: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.(١١٤)

كلمة الحبل تبين أن الحبل يتكون من ألياف النخيل الرفيعة المتّصلة بعضها ببعض، لذا يكون متيناً ومحكماً، ولكن اذا لم يكن هذا الاتصال المضغوط والترابط بين الالياف، حتماً سيكون ضعيفاً ومعوجاً وبأقلّ حادثة تجعله يتقطّع ويتلف.

جلوس الرسولﷺ مع المستضعفين وليس المستكبرين

بعدما أبلغ الرسولﷺ الاسلام للناس، اعترضه المشركون بشدة، وأمّا المستضعفين أمثال: سلمان، أبو ذر، صهيب، بلال الحبشي، خبّاب وغيرهم أسلموا وأصبح الرسولﷺ جليسهم.

ذات يوم مرّ جماعة من المستكبرين من قريش على رسول اللهﷺ وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا له: جمعت حولك حفّاة الاقدام، صوف وخشن الملبس الذين لا يملكون شيئاً من مال الدنيا، ليس بمجلسك الاشراف بل الاراذل وحفاة الاقدام، اطردهم فلعل إن طردتهم اتّبعناك.

فسمع المستضعفون المؤمنون حديث المستكبرين، لذا قاموا وابتعدوا عنهم وجلسوا في ركنٍ من المسجد وانشغلوا بالصلاة والعبادة، أثناء ذلك نزلت الآيات (٢٨) وحتى (٣١) من سورة الكهف.

وفي هـذه الآيـات أدان الله عـزّ وجـلّ آراء المسـتكبرين وأمـر الرسـولﷺ بـأن يصاحـب هـؤلاء المستضعفين ويبقيهم حوله ويحميهم بقوة.

نقرأ في الآية (٢٨):

﴿وَاصْـبِرْ نَفْسَـكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَـهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

فأتـى الرسـولﷺ المسـتضعفين وقال لهم: الحمـد لله الذي لم يمتني حتّى أمـرني أن أصبر نفسي مع رجالٍ من أمتي، معكم المحيا، ومعكم الممات.(١١٥)

الردّ على منكري المعاد

بعدما أبلغ الرسـولﷺ الناس بالتوحيد، بدأ يبلغهم بيوم القيامة والمعاد ويقول: سـيأتي يوماً يحيي فيـه جميـع الموتى، فكان المنكرون يسـخرون منه ويقولون: ليس لنا إلا هذه الدنيـا ولا يوجد حياة بعد الموت.

ذات يـوم جاء رؤسـاء المشركين من قبيل: أُبّي بن خلف، ووليد بـن المغيرة، عاص بن وائل وغيرهم عند الرسولﷺ واعترضوه في أمور من ضمنها: أن أبّي بن خلف مشى إليه بعظم رميم ففته في يده ثم نفخه وقال: أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد ما ترى؟

فأنـزل الله عزّ وجلّ الآيات (٦٦) وحتى (٧٠) من سـورة مريـم في الردّ عليهم حيث نقرأ في الآية (٦٦) و (٦٧) الآتي:

﴿وَيَقُولُ الْإِنسَـانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَـوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَـانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾.

كما أنّ الله جلّ ثناؤه بيّن لنا قدرته من قبل في خلق الانسان من التراب، يستطيع الآن وقادر على أن يخلق للمرة الثانية ويحيي الانسان من عظام رميم.(١١٦)

وجاء نظير هذا المطلب في الآية من ٧٨ الى ٨١ من سـورة يس، حيث ضرب المنكرون مثلاً بعظم رميم عند الرسولﷺ وقالوا:

﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

فأجابهم الرسولﷺ بأمر من الله تعالى:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَـأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّـجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ

الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.[١١٧]

بالرغـم مـن أن المـاء والنـار أضـداد إلا أن الله عزّ وجلّ يستطيع أن يضع الماء في وسط النار، مع التوجه الى أن جميع أخشاب الاشجار لو حكّوا ببعض فسوف يولد فرقعة ولذا نجد أنه أحياناً تشتعل الغابات الخضراء بصورة موحشة ومرعبة، وتلك هي الكهرباء والتي توجد في جميع ذرات موجودات العالم.

تشجيع الرسول ﷺ للمنفقين الخيّرين

كان أبـو طلحـة الانصـاري من الأثرياء، وكان يملك بسـتان جميـل قرب المدينـة، ويوجد بجانب البستان عين ماءٍ زلال وصافي، وكان يحب البستان جداً، وأحياناً كان الرسول ﷺ يذهب إليه ويشرب من العين ويتوضأ.

وكان يحصد أبو طلحة من البستان محاصيل كثيرة، ذات يوم قرأ الرسول ﷺ آية تختص بالانفاق على المسلمين، فسمع أبو طلحة كسائر المسلمين الآية من لسان الرسول ﷺ، والآية هي:

﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾.[١١٨]

وكان أبو طلحة من المؤمنين الصّادقين، فتأثّر جداً بالآية فقال لرسـول الله ﷺ: تعلم أنّ أحبّ شيءٍ عندي هو البستان، وأريد أن أنفقه في سبيل الله حتى يكون لي ذخراً في الآخرة وفي يوم القيامة.

فقال النبي ﷺ لأبي طلحة: بخٍّ بخٍّ ذلك مالٌ رابحٌ لك.

وكان الرسـول ﷺ يضـع الأولويـة في الانفـاق للرحم فقـال لأبي طلحة: هبه لأقاربـك المحتاجين (حيث يكون قد أنفق واهتم بصلة الرحم).

فعمل أبو طلحة بأمر النبي ﷺ وقسّم البستان (أو محصوله) لأرحامه المحتاجين.[١١٩]

أبو طلحة هو زيد بن سـهيل، والذي كان عابد صادق ومجاهد شـجاع في غزوة حنين، قال رسـول الله ﷺ: من قتل كافراً، فله سلاحه ولباسه.

قتـل أبـو طلحـة والـذي كان رجل شـجاع لا مثيـل له، عشريـن رجلاً مـن العدو وأخذ لباسـهم وأسلحتهم.[١٢٠]

احترام المحاربين والمجاهدين

كانـت السـنة الثانية من الهجرة لما وقعت غزوة بـدر، وفي هذه الغزوة التي حصلت بالقرب من بئر بدر، ألحقت عساكر الاسلام أضرار فادحة بالمشركين، وخسروا خسارة قبيحة.

وقد بلغ عدد عساكر الاسلام ٣١٣ رجلاً، ولكن كان عدد عساكر العدو قد تجاوز الألف رجل.

وأنهى المسلمون هذه الحرب الغير متعادلة باستشهاد ٢٢ شهيد (١٤ رجلا من المهاجرين و ٨ رجلاً من الانصار) وبقتل ٧٠ رجل من العدو وأسر ٧٠ منهم.[١٢١]

في إحدى أيام الجمعة، جلس الرسولﷺ مع جمعٍ من المسلمين في «صُفّة» (صخرة كبيرة بجانب مسجد النبي) وكان المجلس ضيّقاً.

وكان من عادة الرسولﷺ أن يحترم المحاربين المسلمين الذين اشتركوا في غزوة بدر، وهنا دخل جمعٌ من المحاربين في بدر وعندما أقبلوا على الرسولﷺ سلّموا عليه، وردّ الرسولﷺ عليهم السلام.

ثم سلّموا على الجالسين فردّوا عليهم السلام، وكانوا واقفين حتى يفسح الجالسون لهم المجلس إلا أنهم لم يفعلوا ذلك.

فتضايق الرسولﷺ من هذا الموضوع، فأمر ببعض الجالسين حوله أن يا فلان ويا فلان قوموا، وبهذا الترتيب وقف بعض الجالسين حتى يجلس المحاربون (وفي الحقيقة كان هذا نوع من الاحترام الخاص للمجاهدين حتى يقوم المسلمين دائماً بتقدير وتشكّر المجاهدين المخلصين).

ولكن هذا الموضوع أثّر على الذين وقفوا بأمرٍ من الرسولﷺ وكان واضحاً على سيماهم.

فقال المنافقون والذين كانوا يستفيدون من كل فرصة تأتيهم لمحاربة الاسلام: لم يعدل الرسولﷺ حيث وقف بأمرٍ منه عاشقيه الذين كانوا جالسين بجانبه، حتى يجلس الذين دخلوا فيما بعد (هل هذا صحيح بأن يُهين عاشقيه لآخرين؟!).

كان من الممكن أن يؤثر سوء استغلال المنافقين لذلك الموقف على بعض الاشخاص الجاهلين، فنزلت الآية ١١ من سورة المجادلة في الردّ عليهم حيث يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[١٢٢]

إشارة: أنه يجب احترام من تقدّموا في ميادين الايمان والجهاد والعلم، وإعطائهم الأولوية في الأعمال ويجب أن لا ينسون ولا ينسى وفائهم.

تجارة رابحة

بعدما هاجر الرسولﷺ من مكّة الى المدينة، أراد أحد المسلمين ويسمى «صهيب الرومي» والذي كان شيخاً ويملك مقداراً من المال، أن يطير ويهاجر الى المدينة ليلتحق بالرسولﷺ، ولكن المشركين لم يجعلوه وآخرين مثله أن يهاجر ومنعوه.

فقال صهيب للمشركين: أنا شيخ كبير، إن بقيت عندكم فلن تستفيدوا منّي شيئاً، وإن تركتكم فلن

أضرّكم شيئاً، لذا تعالوا لنتاجر، وهي أن خذوا أموالي وأعتقوني حتى أهاجر الى المدينة.

فوافق المشركون وأخذوا أمواله وأعتقوه، فهاجر صهيب من مكّة الى المدينة وطوى ثمانين فرسخ بأيدٍ خالية، والتحق بالرسولﷺ والمهاجرين، قال له بعض المسلمين: لقد ربحت يا صهيب.

فأنزل الله عزّ وجلّ الآية (٤١) وحتى (٤٤) من سورة الكهف تمجيداً في مثل هؤلاء المهاجرين الذين عفوا الدّنيا وتمسّكوا بالآخرة، ونقرأ في الآية (٤١) من سورة النحل:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.[١٢٣]

حادثة المباهلة

نقرأ في الآية ٦١ من سورة آل عمران: **﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾**.

معنى المباهلة

جاءت كلمة المباهلة في الاصل من كلمة «بَهْل» وتعني التحرير من القيد، لذا يقولون للحيوان الذي يجعلونه حرّاً ولا يغطّون ثديه الكيس حتى يستطيع مولوده شرب الحليب بحرّية، «باهل».

ويستخدمونها أحياناً بمعنى «الهلال واللعن والابتعاد عن الله» وذلك لأن ترك العبد وجعل الحرية بيده وإتّكالها على نفسه يؤدّي الى تلك النتائج.

والمفهوم المتداول الذي أُخذ من الآية السابقة هو لعن شخص شخصاً آخر، حيث تجتمع الأشخاص الذين دار بينهم نقاش حول مسألة مذهبية مهمة، في مكان ويبتهل كل منهم ويتضرّعون لله عزّ وجلّ ويطلبون من الله أن يفضح الكاذب ويعاقبه.

قصة المباهلة

كانت السنة العاشرة من الهجرة، وكان الرسولﷺ قد كتب من قبل كتاباً الى أسقف نجران (الراهب المسيحي الكبير ويسمى أبو حارثة)، ودعاه والمسيحيّون أهل نجران للاسلام.

تقع نجران مع سبعين قرية تابعة لها على الحدود بين الحجاز واليمن وكان سكّانها مسيحيين، قرأ الاسقف الكتاب بتمعن، فذعر ذعراً شديداً، فبعث الى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة، فدفع إليه كتاب رسول اللهﷺ فقرأه، فقال له الاسقف: ما رأيك؟

فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوّة، فما يؤمن أن يكون هذا الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان أمر من أمور الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك، فبعث الاسقف الى واحد بعد واحد من أهل نجران، فكلهم قال مثل قول شرحبيل، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا ثلاثة أشخاص الى المدينة ليأتوا بخبر الرسول ﷺ، والثلاثة هم:

١- أبو حارثة، أُسقف نجران الأعظم، النائب الرسمي لكنائس الروم في الحجاز.

٢- عبد المسيح رئيس وفد النواب وكان معروفاً بالعقل والدراية.

٣- أَيْهَم، أحد الأشخاص المحترمين وكبير المسيحيين.(١٢٦)

فوردوا المدينة وأتوا رسول الله ﷺ ولقوه فدارسوه يومهم وساءلوه ما شاء الله، ولكنهم لم يقتنعوا بكلام رسول الله ﷺ ولم يقرّوا به، فقالوا له: إن كلامك لا يقنعنا، فلنباهل في وقت معين وكان معين ونلعن الكاذب فينا، وندعو الله أن يهلكه.

وهنا نزلت الآية السابقة على رسول الله ﷺ، فقبل الرسول ﷺ بالمباهلة بأمرٍ من الله عزّ وجلّ، وتم تعيين الوقت(١٢٧) ومحل المباهلة خارج المدينة في الصحراء.

فلما رجعوا الى رحالهم قال لهم الاسقف: انظروا محمداً في غد فإن غدا بأصحابه، لم يكن صادقاً فيما قال لإنصرافه على المادّيات، فباهلوه فإنه على غير شيء، وإن غدا بولده وأهله وتبرأ من المادّيات فهو صادق وواثق بحاله الى حدّ تعريض أعزّته وفلذت كبده للخطر، فاحذروا مباهلته.

فلما كان من الغد جاء النبي ﷺ آخذاً بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يمشيان وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه(١٢٨)، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي قد أقبل بمن معه قال: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني إلى يوم القيامة.

وكان المسلمون من المهاجرين والانصار قد خرجوا من المدينة لمشاهدة المباهلة، ولكن رجع وفد نجران ولم يقدموا على المباهلة وصالحوا الرسول ﷺ على إعطائه الجزية وفي المقابل تقوم الحكومة الاسلامية على حماية أرواحهم وأموالهم.(١٢٩)

إن حادثة المباهلة تدلّ على أحقيّة الاسلام وهزيمة وفد المسيحيين العالي المقام، وأيضا تدلّ على عظمة مقام عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، لأن الرسول ﷺ اختارهم من بين كل المسلمين وأتى بهم للمباهلة، وبتطبيق آية المباهلة، نجد أن كلمة ﴿أنفسنا﴾ تشير الى عليّ عليه السلام لأنه لا يجوز أن يكون المعني به النبي ﷺ لأنه هو الدّاعي، ولا يجوز أن يدعو الانسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره ولا أحد يدّعي دخول غير

أمـيـر الـمـؤمـنـيـن وزوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة .

وروى أن الرسول صلى الله عليه وآله قال: والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولما حال الحول على النصارى حتى هلكوا كلهم.

لما خرج وفد نجران من المدينة لم يلبث السـيد والعاقب إلا يسـيرا حتى رجعا الى النبي صلى الله عليه وآله وأهدى العاقب له حلّة وعصا وقدحاً ونعلين وأسلما.(١٣١)

آخر حج وآخر خطاب للرسول صلى الله عليه وآله

كانت السـنة العاشرة للهجرة، وفي الحقيقة كانت سـنة وداع النبي صلى الله عليه وآله وسنة حصول النتائج وتعيين قائد وخليفة وسنة إكمال الدين وسنة إتمام الحجّة.

أنهى النبي صلى الله عليه وآله مسـؤوليّة رسـالته العظيمة بجهـوده الجبّاره وتحمّله الكثـير، وأتمّها على أكمل وجه، وأوجد مقتضيات انتصار الاسلام في العالم،وأصبحت الجزيرة العربية كلها تحت راية الاسلام، وكان سينشر الاسلام من الحدود والى العالم.

وهنا نلقي نظرة على حادثة حجّة الوداع وغدير خم بإختصار:

أمر الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله أن يشـارك بنفسه في مراسم الحج في السنة العاشرة من الهجرة ليبيّن للناس أحكام الحج والهدف منه وإبعاد الخرافات عن هذه المراسيم، وأعلن بأنه آخر حج له وآخر أيام حياته، وشـارك الكثيرون من أطراف وأكناف مكّة في مراسـم تلك السنة، وكان عليّ عليه السلام في اليمن فجلب معه (٣٤) قرباناً وجزية أخذها من أهل نجران وليلتحق بالنبي صلى الله عليه وآله وفي المدينة التحـق بالنبي سـبعين ألف مسـلم وفي مكة أكثر من مئة ألف مسـلم أقاموا الحج مع الرسول صلى الله عليه وآله، فملأ شعار التوحيد ونداء لبيك كل من مكة ومنى وعرفات، وخطب الرسول صلى الله عليه وآله بالناس في عرفات وبيّن لهم الأحكام المهمة للاسلام خصوصاً التمسك بالقرآن والسّنة.

وأخيراً، رفع يديه نحو السماء قائلاً: «اللهم اشهد اني بلّغت».(١٣٢)

تعيين الخليفة وبيان حادثة غدير خم

بعد الانتهاء من مراسم الحج استعدّ المسلمون للعودة الى أوطانهم وتحرّك الرسول صلى الله عليه وآله نحو المدينة، وحينـما وصـل الركب غدير خم على بعد خمسـة كيلومترات من جحفة، نـزل عليه صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام بآية (٦٧) من سورة المائدة:

﴿ أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنـزِلَ إِلَيْكَ مِـن رَّبِّـكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

النَّاسِ﴾.

يقـع الغديـر على مفـترق أربعة طرق، طريـق يتجه الى المدينـة وطريق الى العـراق وطريق الى مصر وطريق الى اليمن، فأعطى الرسول الاكرمﷺ أمراً بالتوقف وبرجوع كل من سبقهم في المسير فاجتمع حينذاك (٩٠) ألف مسـلم ومسـلمة، وعلى قـول بعض الرواة (١١٤) ألـف و(١٢٠) ألف و(١٢٤) ألف على قـولٍ آخر، وكانوا في انتظار ذلك البلاغ المهم الذي جمعهم لأجله رسـول اللهﷺ، ونُصب له منبر على رحال الإبل في يوم الخميس المصادف ١٨ من ذي الحجة فصعده وبعد أن حمد الله وأثني عليه وذكر مطالب أخرى، وفجأة أخذ يد عليّعليه السلام ورفعها قائلاً: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه.

وكـرّر هـذه الجملـة ثلاثـاً، وعلى قـولٍ أربع مـرات، ثم دعـا في حق عـليّعليه السلام ومحبّيـه وذمّ مبغضيه وأعداءه، ثم طلب من الحاضرين إبلاغ الغائبين بذلك.

وبعـد ذلـك، قام المسـلمون وبأمر من الرسـول الاكـرمﷺ بتهنئة عـليّعليه السلام بمقام الامامـة والقيادة والخلافة.[(١٣٣)]

وبهذا فقد أُكمل الدين بتعيين عليّاًعليه السلام وصيّاً لرسـول اللهﷺ وخليفة من بعده، وأتمّ رسـول اللهﷺ المهمّة بأحسن وجه وأكملها.

قال النبيﷺ في خطبة الغدير: إني تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً.[(١٣٤)]

وقـد نقل هذه الوصيّة المعروفة بحديث الثّقلين الشّـيعة وأهل السّـنة ويعتبر من مسـلّمات التأريخ الاسلامي، وحيئذٍ نزلت الآية (٣) من سورة المائدة:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾.

فكبّر الرسـولﷺ ثم أمر المسـلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجا فيهنئوه بالمقام ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلهم ثم أمر أزواجه وسـائر نسـاء المؤمنين معه أن يدخلن معه ويسـلّمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن .

(نهاية قصص حياة الرسولﷺ)

قصة نـوح عليه السلام

قصة نــوح عليه السلام

جاء اسم نوح عليه السلام (٤٣) مرة في القرآن الكريم وسمّي إحدى سور القرآن باسمه، وهو أول نبي من أولي العزم من الرسل الذي له شريعة وكتاب مستقل وتصل سلسلة نسبه الى آدم عليه السلام بثمانية أو عشرة واسطة.

فتح نوح عليه السلام عينيه للعالم بعد هبوط آدم عليه السلام من الجنة بـ ١٦٤٢ سنة ودعا الناس لرسالته ٩٥٠ سنة(١٣٩) ومركز بعثته ودعوته كان في الشام وفلسطين والعراق.

واسمه الأصلي هو عبد الجبّار، عبد الأعلى و ... الخ، ولكثرة بكائه ونوحه على نفسه خوفاً من الله عزّ وجلّ سُمّي بنوح عليه السلام.

نقل عن الامام الصادق عليه السلام قال: عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها ثمانمائة سنة وخمسون سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومائتا عام في عمل السفينة، وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار وأسكن ولده البلدان.(١٤٠)

وبهذا التوضيح نلفت نظركم الى مقطع من سيرة حياة نوح عليه السلام.

عناد ووقاحة قوم نــوح عليه السلام

بعث نوح عليه السلام بالنبوّة في زمنٍ كان الناس غارقين في عبادة الاصنام والخرافات والفساد والطغيان، وكانوا يعاندون ويسعون في حفظ عاداتهم وتقاليدهم الباطلة، وكانوا متمسّكين بعقيدتهم الفاسدة لدرجة الموت، فلا يتخلون عنها مهما كان.

ووصل عنادهم لدرجة أن الرجل منهم يأتي بإبنه وهو صغير فيقيمه على رأس نوح فيقول: لا تطع هذا الشيخ، إنه محتال.

وكانوا كلهم يعملون بذلك(١٤١)، دفاعاً عن الاصنام والتقرّب إليها وأخذ الأجر منها، أيضا كان بعضهم يأتون بأولادهم عند نوح عليه السلام ويقول الرجل منهم: يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون.(١٤٢)

وكان البعض الآخر من ذلك القوم الجاهل والمستكبر يمسك بيد ابنه ويأتي به الى نوح عليه السلام ويريه وجه نوح عليه السلام ويقول له: خف من هذا الرجل، فلا يتيهك، هذا وصية أوصاني بها والدي، والآن أوصيك بها (حتى أكون قد أدّيت حق الوصية).(١٤٣)

ووصلت وقاحتهم وغرورهم الى حدّ أن القرآن يقول:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾.[١٤٤]

وكان نوحعليه السلام يدعو قومه الى الله عزّ وجلّ ليلاً ونهاراً فلا يزدادون إلا طغياناً وكان أشراف قومه الكفّار يأتونه ويقولون له:

﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

فيقول نوحعليه السلام في جوابه:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.[١٤٥]

وكانوا يثورون الى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامعه دماً وحتى لا يعقل شيئاً مما يصنع به فيحمل فيرمي في بيت أو على باب داره مغشيّاً عليه، فإذا أفاق يغتسل ويأتي مرة أخرى الى قومه ويدعوهم الى الله عزّ وجلّ.

وبهذا الترتيب، استمر نوحعليه السلام في مبارزته الغير آمنة بمقاومته وثباته.[١٤٦]

دعوات نوحعليه السلام المنطقيّة والمُحبّة

دعا نوحعليه السلام قومه ببيان واضح وكلام منطقي ومقبول وحديث محبب، فكان يدعوهم الى ثواب الله عزّ وجلّ وجناتٍ تجري فيها تحتها الأنهار ويحذّرهم من عذاب الله، ولكنهم استكبروا وأصرّوا على استكبارهم فلم يسمعوا نوحعليه السلام ولم يتركوا عبادة الاصنام.

وكان نوحعليه السلام يدعوهم ليلاً ونهاراً الى الله جل ثناؤه بتحمّل واستقامة وبمختلف الأحاديث، واستخدم كل الأصول و الوسائل الصحيحة لدعوتهم كالطبيب الحنون، وشرح لهم الآثار التي تنتج من عبادة الاصنام، وخطر هذا المرض، ولكن لم يترك حديث نوحعليه السلام المنطقي والمقبول عليهم أي أثر.[١٤٧]

وكان نوحعليه السلام ذا ايثارٍ في هدايته وتبليغ قومه، وكان يراهم كأولاده، وكان دائماً يفكر في كيفية نجاتهم ويغتم ويتألم لغرقهم في الذنوب والمعاصي (كالوالد الذي يتألم لابنه)، لذا كان يدعوهم ليلاً ونهاراً لعلّهم ينجون مما هم فيه.

وحتى يستطيع نوحعليه السلام نفوذ دعوته فيهم استخدم ثلاثة برامج لذلك، فكان يدعوهم سرّاً،

وأحيانـاً يدعوهـم علناً وجهـاراً ثم يمـزج العلني بالخفـاء، ولكنهم لم يقبلـوا بجميع أسـاليبه المحبّبة والمنطقية.[١٤٨]

حتى أنهم كانوا يضربونه بلا رحمة ليتوقف عن دعوته، حتى يغمى عليه، ولكنه كان إذا أفاق يقول بكل عطف وحنان: «اللهم اغفر لي ولقومي فإنّهم لا يعلمون».[١٤٩]

بنـاء سفينـة النجـاة

كان نوحعليه السلام يقضي الليل والنهار في التفكـير في كيفية نجاة قومه من الجهل وعبادة الاصنام، ولكن مهـما نصحهـم وحذّرهم من العذاب الالهي والخطر، لم تؤثّر فيهـم أي شيء ولم يتركوا أعمالهم القبيحة حتى أنهم بكل وقاحة قالوا لنوحعليه السلام:

﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.[١٥٠]

فأوحـى الله عـزّ وجلّ الى نوحعليه السلام وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِـنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.[١٥١]

وهنـا أمره الله عزّ وجلّ ببناء السـفينة وأوحى لـه: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَـا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.[١٥٢]

فحـذّر نـوحعليه السلام قومه كما أمره الله عزّ وجلّ من عذاب الهي شـديد وبـلاء الطوفان العظيم ولكنهم ازدادوا إصراراً.

سخرية وضحك قوم نوحعليه السلام المعاند

فاستعد نوحعليه السلام بناءاً على أمر الله تعالى لبناء السفينة، فأعدّ الخشب وبدأ بصناعة السفينة، واستغرق عدة أشـهر (بل عدة سـنوات) لبنائها، وكانت هذه السـفينة كبيرة جداً، كتب البعض أنها كانت سـبع طبقات، وتنقسم كل طبقة الى تسعة أقسام، ونقل البعض الآخر أنها كانت ثلاث طبقات:

طبقـة للنـاس، وطبقـة للأنعـام، وطبقة للهـوام والوحـوش، وجعل أسـفلها الوحوش والسـباع والهوام، وأوسطها للدواب والانعام، وركب هو ومن معه في الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد.

وكان أول حيوان دخل هذه السفينة هو النمل، وآخر حيوان دخلها هو البغل وإبليس.[١٥٣]

وروى أيضا أن أمير المؤمنين عليّعليه السلام قال عندما سأله رجل من أهل الشام عن طول وعرض سفينة نوحعليه السلام: كان طولها ثمان مائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وارتفاعها في السماء ثمانين ذراعاً.

وقال أيضاً: الفلك المشحون اتّخذ نوحعليه السلام فيه تسعين بيتاً للبهائم.

وصنع هذه السفينة في الكوفة، وطبقاً لبعض الروايات أن نوحعليه السلام عمل سفينته في مسجد الكوفة بيده.[١٥٤]

وكان نوحعليه السلام دائماً في موضع سخرية قومه لما بدأ بصناعة السفينة وحتى انتهى منها، فكانوا يمرون عليه فيضحكون ويسخرون منه ولكنه كان يقول لهم: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.[١٥٥]

هروب المخرّبين من هجوم نوحعليه السلام

لما بدأ نوحعليه السلام ببناء السفينة بأمرٍ من الله عزّ وجلّ، كان المشركون يأتون السفينة ليلاً ويخرّبونها ويحطّمونها، فدعا نوحعليه السلام ربه وقال: الهي أمرتني بصنع السفينة، فبدأت بالعمل بها ولكن المشركين يأتون ليلا ويحطّمون ما عملت فمتى سينتهي عملها؟

فأوحى الله عزّ وجلّ الى نوحعليه السلام: أن جئ بكلب لحراستها.

فجاء نوحعليه السلام بكلبٍ وجعله يحرس السفينة، فكان نوحعليه السلام يعمل بها بالنهار وينام بالليل، وعندما يأتي المشركون لتخريبها، ينبح الكلب بصوت عالي فينهض نوحعليه السلام ويهجم على المشركين فيهربون، ودام هذا الحال حتى انتهى من صنع السفينة.[١٥٦]

ركّاب سفينة نوحعليه السلام

ولأن طوفان نوحعليه السلام كان عالمياً وغطّى الكرة الارضية كلها، لذا ولحفظ نسل الحيوانات والنباتات كان لا بد من أن يقوم نوحعليه السلام بأخذ زوجين من كل نوع من الحيوانات وأخذ بذور النباتات المختلفة.

جاء في الرواية أن الامام الصادقعليه السلام قال: لما فرغ نوحعليه السلام من اتّخاذ السفينة أمره الله تعالى أن ينادي بالسريانية أن يجتمع إليه جميع الحيوانات، فلم يبق حيوان إلا وقد حضر فأدخل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين.[١٥٧]

ونقرأ في القرآن هذا المطلب حيث يقول الله جلّ ثناؤه:

﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.[١٥٨]

وبهذا الترتيب ركّاب السفينة هم: نوحعليه السلام وثمانون رجلاً من المؤمنين به، وزوجان من كل جنس من أجناس الحيوانات (من الحشرات والطيور والسباع و... وغيرهم) ومقدار من بذور النباتات.

فاستقرّ كل الركّاب في السفينة، كلٌ في موضعه الخاص، واستعدوا لبلاءٍ عظيم والذي بدأت مقدماته في الظهور، حيث فار التنور الذي كان عند بيت نوح عليه السلام وجاءت غيوم سوداء وغطّت السماء كقطعٍ ظلماء، وكان الرعد والبرق يسمع ويرى من كل مكان وكل شيء يخبر عن حدوث حادثة كبيرة.

بلاء الطوفان العظيم نتيجةً للعن نوح عليه السلام

حذّر نوح عليه السلام لسنوات قومه المذنبين من العذاب الالهي، ولكنهم أخذوه سخرية ولم يعتنوا بتحذيراته.

سعى نوح عليه السلام مئات السنين لهداية قومه ولكن لم يؤمن منهم إلا مجموعة قليلة، فيأس نوح عليه السلام من هداية قومه، لأنه كان يراهم يزدادون يوماً عن يوم إصراراً وتكبّراً وأذيّة ولم يكن هناك فيهم بصيص من الامل حتى يُصلحوا ولا حتى في أولادهم في المستقبل لفسادهم فكريّاً وروحيّاً.

ومن جهة، أوحى الله عزّ وجلّ الى نوح عليه السلام أن: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾.(١٥٩)

لذا رأى نوح عليه السلام أنهم يستحقّون اللعن فلعنهم وقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.(١٦٠)

حينئذ حدث الطوفان العالمي العظيم، وتفجّرت عيون الماء في الارض ونزل من السماء وغرقت الارض.

والماء الذي نزل من السماء لم يكن ماءاً بل كان كالسيل ينهمر على الارض فتبدّل كل مكان الى شلالات عظيمة ولا مثيل لها وهبت الرياح الشديدة من كل جانب والرعد والبرق والغيوم قد أظلمت الدنيا، وفي فترة وجيزة استقرت السفينة على الماء وغرق كل الناس وكل شيء كان خارج السفينة وهلك وطفى الماء كل الجبال والوديان وأصبحت كالمحيط لا يُرى فيه أي جبل.

وحسب قول القرآن: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.(١٦١)

هلاك كنعان ابن نوح عليه السلام

كنعان هو أحد أبناء نوح عليه السلام ويسمى بالعربية «يام» وقد دعاه نوح عليه السلام بمختلف طرقه وأساليبه الى التوحيد ولكنه بكل وقاحة وإصرار واستكبار لم يعتني بدعوة أبيه واستمر على عبادة الاصنام كسائر الناس.

ولما كان الطوفان، رأى نوح عليه السلام أن ابنه كنعان في خطر وسوف يغرق ويهلك، فخاف عليه وناداه من السفينة:

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾.

ولكـن بـدلاً من أن يسـتجيب لدعوة أبيه وينجّي نفسـه من الهـلاك، ردّ عليه بكل غـرور ووقاحة وقال: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء﴾.

قال نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾.

ولما طفى الماء كل مكان وأصبح كنعان في خطر شديد ولم يبق شيئاً إلا وغرق قال نوح عليه السلام:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾.

فأجابه الله عزّ وجلّ: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.

فقال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.[١٦٢]

وبهـذا الترتيـب شـمل العذاب الالهي جميـع من لم يركبوا السـفينة حتى ابن نـوح عليه السلام ولم يتوجه الى شـفاعة نـوح عليه السلام عنـد الله جـلّ جلاله، لأنـه كان مخالفاً لنـوح ولمذهب نـوح عليه السلام وعلى إثـر الانحراف والذنب انقطع جذور صلته بنوح عليه السلام.

نــوح عليه السلام وشكــره الدائــم لله

عـرّف القـرآن نوح عليه السلام بالعبد الشـكور[١٦٣]، قال الامام السّـجاد عليه السلام: أخذ النـاس ثلاثة من ثلاثة: أخذوا الصبر عن أيوب، والشكر عن نوح، والحسد عن بـني يعقوب.[١٦٤]

وهنـا نلفت نظركـم الى قصة جاءت في كتاب «مثنوي مولانا» بخصـوص نوح عليه السلام ورضاه بالرضا الالهي وشكره:

بعـد مناجـاة نـوح عليه السلام مع الله عـزّ وجلّ في هـلاك ابنه كنعان، قـال الله تعالى لنوح عليه السلام: يـا نوح أنت عزيزي لن أخيب قلبك في كنعان، سأخبرك عن حاله.

نوح عليه السلام: لا لا إن أغرقتني أيضا وأهلكتني فسأكون عبدك، الهي أنا تحت أمرك، أمتني أو أحيني في أي لحظة، فأمرك روحي وأقبل به من أعماق روحي وقلبي وراضي به.

لا أريـد شـيـئاً مـن هـذه الدنيـا غـير جمالـك، وإن أردت شـيئاً فذلك ليكـون مصباحـاً أرى فيه وجهك.

أنا عاشق لمخلوقاتك، صابر وشاكر لك ولا أعشق الوجود العيني للمصنوعات بل أشاهدها مرآةً لجمالك، والذي بينهما فرق بسيط لا يدركه إلا أهل الشهود.[١٦٥]

سفينة نوح عليه السلام على قمة جبل جودي

غطّى الماء والسيل والطوفان كل الارض، وتحركت سفينة نوح عليه السلام على الماء، ونجى ركّاب السفينة، وهلك المذنبون، وارتفع الماء لدرجة أنه جاء في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لما فار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم صبي عليه وكانت تحبه حبّاً شديداً فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء عرجت به حتى بلغت ثلثيه، فلما بلغها الماء عرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي.(١٦٦)

وأخيراً رست السفينة (كما جاء في الآية ٤٤ من سورة هود) على جبل جودي، ويقع هذا الجبل في إحدى المناطق الشمالية في العراق، بقرب موصل.(١٦٧)

وكان قد خلى سبيلها، فأوحى الله عزّ وجلّ الى الجبال أنّي واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن، فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي فضربت السفينة بصدرها الجبل، فقال نوح عليه السلام عند ذلك: رب أصلح.(١٦٨)

حياة جديدة بعد انتهاء الطوفان

لما انتهى العقاب الالهي لقوم نوح عليه السلام الظالم ووقع هلاك الكفّار على التمام، صدر أمر من الله عزّ وجلّ للأرض والسماء بأن: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

فبلعت الارض ماءها وأمسك السماء عن المطر واستقرت السفينة على الجودي.

فأوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.(١٦٩)

نقل عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: فاستوت السفينة على جبل جودي ونزل نوح عليه السلام من السفينة مع الثمانين (مؤمن) بالموصل (وبدأوا بحياة توحيدية جديدة بعيداً عن الشرك والفساد) وبنوا مدينة الثمانين.(١٧٠)

فبنى نوح عليه السلام على جبل الجودي محلاً للعبادة فكان يعبد الله فيه مع أتباعه وطبقاً لبعض الروايات، أن نوح عليه السلام نزل من السفينة يوم عاشوراء (في العصر).(١٧١)

وبدأ نوح عليه السلام مع أتباعه ببناء البيوت على جبل جودي وسمّيت: «بسوق الثمانين»، واستزاد يوماً عن يوم النسل البشري من هؤلاء الثمانون والذين كان من بينهم ثلاثة من أبناء نوح عليه السلام وهم سام،

حام ويافث.[١٧٢]

وجاء في بعض الروايات أن نسل البشر من بعد هذا التاريخ كان من أبناء نوحعليه السلام الثلاثة (سام، حام ويافث) ثم ازدادوا.

سام وصيّ نوحعليه السلام

نقل عن الامام الصادقعليه السلام أنه قال: عاش نوحعليه السلام بعد النزول من السفينة خمسين سنة[١٧٣]، ثم أتاه جبرئيلعليه السلام فقال: يا نوح إنه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك فانظر الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة التي معك فادفعها الى ابنك سام فإنّي لا أترك الارض وإلا وفيها عالم يعرف به طاعتي، ويكون نجاة فيما بين قبض النبي وبعث النبي الآخر، ولم أكن أترك الناس بغير حجّة وداع إلي وهاد إلي سبيلي وعارف بأمري، فإنّي قد قضيت أن أجعل لكل قوم هادياً أهدي به السعداء، ويكون حجة على الأشقياء.

قال: فدفع نوحعليه السلام الاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة ابنه سام، فأما حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفعان به.

قالعليه السلام: وبشّرهم نوح بهودعليه السلام وأمرهم بإتباعه وأمرهم أن يفتحوا الوصية كل عام فينظروا فيها فيكون ذلك عيداً لهم كما أمرهم آدمعليه السلام.[١٧٤]

فناء وعدم وفاء الدنيا في نظر نوحعليه السلام

كان نوحعليه السلام من الأنبياء الذين عمّروا في الدنيا، كتب البعض أنه عمّر ٢٥٠٠ سنة، لذا كان يسمّى بـ«شيخ الانبياء»، وفي نفس الوقت لم يتعلق قلبه أبداً بهذه الدّنيا الفانية وكان يرى نفسه كالمسافر، والشاهد على ذلك أنه في آخر أيام عمر ذلك النبي الكريم، سأله شخص: كيف ترى الدّنيا؟

قال نوحعليه السلام: كبيتٍ له بابان دخلتُ من أحدهما وخرجت من الآخر.[١٧٥]

قال الامام الصادقعليه السلام: ثم إن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك، فردّ عليه نوحعليه السلام وقال له: ما حاجتك يا ملك الموت؟

فقال: جئت لأقبض روحك، فقال له: تدعني أدخل من الشمس الى الظل؟

فقال له: نعم، فتحوّل نوحعليه السلام ثم قال: يا ملك الموت فكان ما مرّ بي في الدّنيا مثل تحولي من الشمس الى الظلّ، فامض لما أمرت به.

قال: فقبض روحهعليه السلام.[١٧٦]

(نهاية قصص حياة نوحعليه السلام)

قصة هــودعليه السلام

قصـــة هـــودعليه السلام

من أحد الأنبياء الذي جاء اسـمه في القرآن (عشر مرات) وسـمّيت إحدى سور القرآن باسمه هو هودعليه السلام، ونسبه الشريف هو «هود بن عبد الله بن رباح بن خلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح» وعلى هذا الأساس يتّصل نسبه الشريف بنوحعليه السلام بسبعة أجداد.

لمـا حـضرت نوحـاًعليه السلام الوفـاة دعا شـيعته فقـال لهـم: اعلموا أنه سـتكون بعـدي غيبة تظهـر فيها الطّواغيـت، وأنّ الله عـزّ وجلّ يفرج عنكم بالقائم من ولدي اسـمه هود، له سـمت وسـكينة ووقار، يشبهني في خلقي وخلقي، وسيهلك الله أدعائكم عند ظهوره بالريح.

فلـم يزالـوا يترقبـون هـوداًعليه السلام وينتظـرون ظهوره حتى طـال عليهم الأمد فقسـت قلـوب الكثير منهـم، فأظهـر الله تعالى ذكـره نبيه هوداً عنه اليأس منهـم وتناهي البلاء بهم، وأهلـك الأعداء بالريح العقيم.(١٧٧)

لذا سمّي بهود لهدايته قومه من الضلالة الى الله عزّ وجلّ.

وكان أشبه ولد آدم بآدمعليه السلام وكان رجلاً كثير الشعر وحسن الوجه.(١٧٨)

وهودعليه السلام هو ثاني نبي حارب وبارز الاصنام وعبادتها حيث كان الاول نوحعليه السلام.(١٧٩)

وبهذا التوضيح وبإلهامٍ من القرآن، نلفت نظركم الى مقاطع عن حياة هودعليه السلام وقومه والذي عُرف بقوم «عاد».

قــوم عاد المعانــد

كان يعيش قبل ٧٠٠ سنة قبل الميلاد قوم في الاحقاف (بين اليمن و عمان، جنوب الجزيرة العربية) يسـمى بقوم عاد نسـبةً الى جدّهـم «عاد بن عوص»، وهـودعليه السلام أيضاً كان من ذلك القـوم حيث جدّه الثالث هو عاد بن عوص.(١٨٠)

وكان لقـوم عاد أجسـاد طويلة وعظيمة وقوية لذا كانوا يتّخذونهـم كمحاربين، ومن جهة التمدن كانوا متقدّمين على البلدان الأخرى، وكان لهم زرع ونخل كثير.(١٨١)

وكانوا غارقين في النعم الالهية وكسائر المستثمرين والمرفّهين كانوا يعيشون في غفلة وغرور، وكانوا يسيئون الاستفادة من قدراتهم في الظلم والاستعمار واستعمال الآخرين ويتّبعون الطواغيت وكل جبّار عنيد وكانوا غارقين في أنواع الخرافات وعبادة الاصنام والذنوب.

ويُرى الطغيان، الاهمال، حب الدنيا والشهوة، الجهل والضياع، العناد والتكبّر والاصرار في كل وجودهم ولم يكونوا مستعدّين أبداً للتخلي عن أساليبهم والتسليم أمام الحق.(١٨٢)

دعوة هودعليه السلام ومبارزته ضد عبادة الاصنام

بدأ هودعليه السلام في قومه بدعوته وقال: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾.

﴿قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.(١٨٣)

جوهرة دعوة هودعليه السلام

يقول الله سبحانه وتعالى في الآية (١٢٣) و (١٢٤) من سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

ثم يبين كيفية دعوة هودعليه السلام ويقول:

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.(١٨٤)

ردّة فعل قوم عاد المعاند أمام هود(عليه السلام)

وبدلاً من أن يجيبوه ويؤمنون به، ازدادوا عناداً واستكباراً وكذّبوه، وقالوا: ﴿قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ *﴾.[١٨٥]

وأيضا قالوا لهود(عليه السلام): ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.[١٨٦]

وعظ هود(عليه السلام) قومه ليلاً ونهاراً ودعاهم الى الحقّ، وبيّن لهم طريق النجاة الواضح، وبإصرار حذّرهم من الانحراف والضياع، ولكن قلّة منهم من آمن به، وأغلبهم كذّبوه وأتّهموه بالجنون والبلاهة وازدادوا كفراً وعناداً.[١٨٧]

يبين القرآن مقطع من أحاديث هود(عليه السلام) مع قومه وهي الآتي:

قال هود(عليه السلام): ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾.

قال كبار القوم وأشرافه الكفّار: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

قال هود(عليه السلام): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

قالوا: ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

قال هود(عليه السلام): ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾.[١٨٨]

عذاب قوم عاد الشديد وهلاكهم الصعب

تم الاشارة في القرآن في آيات متعددة[١٨٩] عن العذاب الشديد الذي نزل على قوم عاد وأهلكم والتى نفهم منها أن عذابهم كان شديداً وصعباً للغاية وموحشاً.

جاء في سورة الحاقّة في الآية (٦) وما بعدها:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾.

كانت بلاد قوم عاد بلاد زراعية وذات نخل كثير، وكثيرة الخير وخصبة، فلما أبوا دعوة هود(عليه السلام)

ولم يؤمنوا به وآذوه، كفّ السـماء عنهم سـبع سـنين حتى قحطوا، وأصبحت بلادهم شـديدة الحرارة والجفاف.

فقال لهم هودعليه السلام: يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه فينزل الله تعالى عليكم المطر.

ولكنهم اسـتزادوا عناداً وتكبّراً وسـخروا منه، فأوحى الله سبحانه هودعليه السلام: أنه في وقت كذا وكذا سـينزل عليهم ريح فيها عذاب أليم فقال لهم ذلك، ولما كان ذلك الوقت نظروا الى سـحاب قد أقبلت فاسـتبشروا وقالوا هذا عارض ممطر فأخبرهم هودعليه السلام بأنها ليسـت غيوم بأمطار بل هي ذلك العذاب الشديد والموحش الذي استعجلوه، هذا هو الريح الشديد التي تحمل معها عذاب أليم.

فهبّت الرياح وأهلكت أموالهم وحيواناتهم.[١٩٠]

انتبهوا للسحب السوداء المحمّلة بالغبار والريح لما جاءت الريح وأهلكت الدواب ورعاة الغنم في أنحـاء وأطـراف البلاد، حتى ارتفعوا من على الارض وصعدوا، وكانت الخيم تقلع وترفع وكانت تمر على عاد ما بين السـماء والارض حتى تراها كالجرادة، فلما رأوا تلك المناظر الموحشـة، هربوا وفرّوا الى بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، ولكن الريح كانت قوية جداً لدرجة أنها كانت تحطّم الأبواب وتقلعها وتقلع الرجـال والنسـاء من تحت أرجلهـم ثم ترفعهم ثم ترمـي بهم من الجو فيقعون على رؤوسـهم منكبين ومغطّين بالتراب.[١٩١]

نعم، أنزل الله تعالى عليهم عذاب شديد حيث يقول القرآن: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.[١٩٢]

نجـاة هــودعليه السلام والمؤمنــون

كما جاء في القرآن، في الآية (٥٨) من سـورة هود، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

وطبقاً لبعض الروايات أن هودعليه السلام هاجر مع اتباعه بعد هلاك قومه الى حضرموت وعاش فيها الى آخر عمره.

وقد نقل في كتاب المثنوي قصة نجاة هودعليه السلام والمؤمنون به في أشعار وملخصها هي الآتي:

لما هبّت الرياح الشـديدة (سـبع ليالي وثمانية أيام) على قوم عاد، أهلكت كل شيء مرّت عليه، وفي أول يوم نزل العذاب قام هودعليه السلام بخط دائرة حول نفسه وأتباعه المؤمنين وقال لهم: ابقوا ثمانية أيام في هذه الدائرة وشاهدوا أعضاء الكفّار المتلاشية تتطاير خارج هذه الدائرة.

فلـم يصبهـم أي أذى من الريـح، بل كانت الريح كأنها نسـيم يرفـع من معنوياتهـم، ولكن كانت

أجساد الكفّار تطير في الهواء فتُضرب بالصخور وأحياناً تضرب بعضها ببعض حتى تتفتت العظام وتصبح كبذور الخشخاش.[١٩٣]

جنّة شدّاد وهلاكه قبل رؤيته الجنة

نقل البعض في ذيل الآيات (٦) وحتى (٨) من سورة الفجر قصة جنّة شدّاد وهلاكه قبل رؤيته لها، حيث نقرأ في هذه الآيات:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾.

جاء في الرواية: أنه كان لعاد الذي بعث الله عزّ وجلّ إليه هودعليه السلام لهدايتهم، ابنان سمّى أحدهما شديداً والآخر شداداً فهلك عاد وبقيا بعده وملكا الدنيا وتجبراً وأطاعهما النّاس من شرقها وغربها، ثم مات شديد وبقي شداد فاستقل في الملك، وأصابه الغرور (دعاه هودعليه السلام الى التوحيد بالله تعالى، وقال له: إن آمنت بالله سيجازيك الله تعالى بالجنة، قال شداد: ما هي الجنة؟ فوصف له هودعليه السلام بعض أوصاف جنة الله سبحانه، فقال شداد: هذه ليست بشيء، سأبني لي مثلها، فاستكبر وأصابه الغرور ولم يتبع هودعليه السلام).

فقرر أن يعمل مثلها في الدنيا عتوّاً على الله عزّ وجلّ، وبنى مدينة «إرم»، فجعل على عملها وبنائها مائة رجل من أهل المهنة وتحت يد كل رجل منهم ألف من الأعوان ويجبرونهم على العمل.

وكتب شدّاد الى ملوك البلاد وأمرائها من شرق الدنيا وغربها بأن يبعثوا له كل ما يملكون من الذهب والفضة والجواهر، وبعثوا له كل ما يملكون.

ثم شرعوا في البناء، فبنوا هذه المدينة في مدة طويلة من السنوات، فلما أخبروه بالفراغ من بنائها أمرهم بأن يحصّنوها بسور عال يحفظها وجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم على وضع خاص.

فلما تم كل شيء وأخبر بالفراغ من البناء والتزيين والتجهيز، سار الملك شداد إليها (والتي تقع في الجزيرة العربية بين اليمن والحجاز) مع أهله وخاصته وجنوده وكل أعوانه وخدمه، فلما كانت المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عزّ وجلّ وعلى جميع من كان معه صيحة من السماء فأهلكته ومن معه جميعاً قبل وصوله إليها، فلم يدخلها ولا أحد ممن كان معه.[١٩٤]

شفقة عزرائيلعليه السلام على شخصين أحدهما شدّاد

ذات يوم كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً، فأتاه عزرائيلعليه السلام فسأله الرسول صلى الله عليه وآله: يا أخي ! منذ سنوات وأنت مأمور بقبض أرواح النّاس، فهل في هذه المدّة أشفقت قلبك ورحم أحد منهم؟ قال عزرائيلعليه السلام:

في هذه المدة أشفق قلبي لشخصين:

١- ذات يوم حصلت عاصفة في البحر وحطّمت الأمواج المتلاطمة أحد السفن، فغرق جميع ركّابها ما عدا امرأة حامل، حيث تعلّقت بأحد الأخشاب الطافية على البحر، وجرّتها الأمواج الى الساحل ورمتها على جزيرة، وهنا ولدت ورزقت بولدٍ، فأُمرت بأن أقبض روحها، فأشفقت على الولد.

٢- لما بنى شدّاد بن عاد لنفسه جنة ليس لها مثيل لسنوات طويلة، وجعل فيها كل ثرواته، وبنى أعمدتها من الذهب والجواهر، واكتملت(١٩٥)، أراد شدّاد دخولها وأراد النزول من خيله، وأول ما وضع رجله الايمن على الارض ومازال جيشه على الخيل، أمرني الله عزّ وجلّ بقبض روحه، فقبضت روحه، فرقّ له قلبي لأنه عاش عمره ينتظر ويتأمل رؤيته الجنة التي صنعها، ولكن قبل أن يراها بعينيه، مات.

وهنا نزل جبرئيل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد! ربك يسلّم عليك ويقول: بعظمتي وجلالي، ذلك الطفل هو شدّاد بن عاد، أخذته من البحر بلطفي، وربّيته بلا أم وجعلته ملكاً، لكنه كفر بالنعمة، واستكبر، ورفع راية مخالفتي، فأصابه عذابي الشديد حتّى يعلم العالم أنني أمهل الكفّار ولكن لا أهملهم.

كما يقول القرآن: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.(١٩٦)

(نهاية قصص حياة هود عليه السلام)

قصة العابد برصيصاي

قصة العابد برصيصاي

شبّه القرآن في الآية (١٦) و (١٧) من سورة الحشر عاقبة المنافقين بالتالي:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

ذكر جمعٌ من المفسّرين والمحدّثين في ذيل هذه الآية قصة العابد برصيصاي والتي تجسّم عاقبة الشيطان وأتباع الشيطان، وهذه القصة هي:

كان في بني اسرائيل عابد اسمه برصيصا، عبد الله زماناً من الدّهر حتى كان يؤتي بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤون على يده، وإنه أُتي بامرأة في شرف قد جنت، وكان لها إخوة فأتوه بها وكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت، فلما استبان حملها قتلها ودفنها، فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا.

ثم أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول: والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره، فذكره بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك والناس فسألوه فأقرّ لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب، فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه؟

قال: نعم.

قال: اسجد لي سجدة واحدة.

فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟

فقال: أكتفي منك بالايماء، فأومأ له بالسجود، فكفر بالله، وقتل الرجل، فأشار الله تعالى الى قصته في تلك الآيتان.[١٩٧]

(نهاية قصة العابد برصيصاي)

قصة أصحاب الرس

قصــة أصحــاب الرسّ

جاء في القرآن مرتان ذكر قصة أصحاب الرسّ، الاولى في الآية (١٢) من سورة ق والتي تخبرنا عن تكذيبهم لرسولهم، والثانية في الآية (٣٨) من سورة الفرقان والتي تبيّن هلاك وعذاب أصحاب الرسّ الشديد، والذين ذكروا بجانب قوم عاد وثمود حيث قُضي عليهم إثر العذاب الالهي.

كلمـة الـرسّ[١٩٨] تشـير الى بئر أو نهـر كان موجوداً في بـلاد أصحاب الرسّ، واختلـف المفسّرون في هويّـة أصحـاب الرسّ وعلّة عذابهم، وهنا نصرف النظر عن ذكرهـم ونذكر القصة التي نقلت عن الامام الرضا عليه السلام عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

كان أصحـاب الـرسّ قومـاً يعبدون شـجرة صنوبر يقال لها «شـاه درخـت»، وكان يافث بن نوح غرسـها على شـفير عـين يقال لهـا «روشـاب» كـانـت قد نبعـت لنوح عليه السلام بعـد الطوفان، وإنّما سـمّوا أصحـاب الرّس لأنهم رسـوا نبيهم في الارض وذلك بعد سـليمان بـن داود عليه السلام، وكانت لهم اثنتا عشر قريـة عـلى شـاطئ نهر يقال له: الـرس[١٩٩] من بـلاد المشرق، وبهم سـمي ذلك النهـر، ولم يكن يومئذ في الارض نهـر أغـزر منه، ولا أعذب منه، ولا قرى أكـثـر ولا أعـمـر مـنـهـا تـسـمى إحداهن أبان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسـة إسـفندار، والسادسـة فروردين، والسـابعـة أردي بـهشـت، والثامنـة خـرداد، والتاسـعة مرداد، والعاشرة تير، والحادي عشر مهر، والثاني عشرة شهريورد.

وكانت أعظم مدائنهم إسـفندار وهي التي ينزلها ملكهم، وكان يسـمى تركوذ بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم، وبها العين والصنوبرة، وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة، وأجروا إليها نهراً من العين التي عند الصنوبرة، فنبتت الحبّة وصارت شجرة عظيمـة، وحرمـوا ماء العين والأنهار فـلا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعـل ذلك قتلوه ويقولون:

هو حياة آلهتنا، فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها، ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم.

وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع إليه أهلها فيضربون على الشجرة التي بها كلة(مظلة) من حرير فيها من انواع الصور، ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرة، ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر الى السماء خرّوا للشجرة سجّداً يبكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم، فكان الشيطان يجئ فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبي: أني قد رضيت عنكم عبادي ! فطيبوا نفساً، وقرّوا عيناً، فيرفعون رؤوسهم عند ذلك ويفرحون، ويشربون الخمر، ويضربون بالمعازف، فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون.

بالاضافة الى العقائد الخرافية التي كانت عندهم، كانوا منحرفين وفاسدين أخلاقيّاً وعمليّاً.[٢٠٠]

فلما طال كفرهم بالله عزّ وجلّ وعبادتهم غيره بعث الله عزّ وجلّ إليهم نبيّاً من بني اسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب (والذي يسمى حنظلة طبقاً لبعض الروايات)، فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم الى عبادة الله عزّ وجلّ ومعرفة ربوبيته فلا يتبعونه، فلما رأى شدة تماديهم في الغي والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والنجاح وحضر عيد قريتهم العظمى قال: يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي والكفر بك، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر، فأيبس شجرهم أجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك.

فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كلها فهالهم ذلك وقطع بهم، وصاروا فرقتين: فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم أنه رسول رب السماء والارض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم الى إلهه، وفرقة قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها لكي تغضبوا لها فتنصروا منه.

فأجمع رأيهم على قتله، فاتّخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الأفواه، ثم أرسلوها في قرار العين الى أعلى الماء، واحدة فوق الأخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء، ثم حفروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة، وأرسلوا فيها نبيهم، وألقوا فيها صخرة عظيمة، ثم أخرجوا الأنابيب من الماء، وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنّا آلهتنا إذا رأتنا قد قتلنا من كان يقع فيها، ويصدّنا عن عبادتها،

ودفناه تحت كبيرها يتشفى منه، فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان، فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم، وهو يقول: سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي، وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي، حتى مات.[٢٠١]

عذاب أصحاب الرسّ الشديد

فقـال الله عـزّ وجلّ لجبرئيل عليه السلام: يا جبرئيل أيظن عبادي هـؤلاء الذين غرّهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسـولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سـلطاني؟ كيف وأنا المنتقم مما عصاني، ولم يخش عقابي، وإني حلفت بعزتي لأجعلنّهم عبرة ونكالا للعالمين.

فلم يرعهم وهو في عيدهم ذلك إلا بريح عاصف شديدة الحمرة فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض، ثم صارت الارض من تحتهم حجر كبريت يتوقد، وأظلّتهم سـحابة سوداء فألقت عليهـم كالقبّـة جمـراً يلتهب فذابت أبدانهـم كما يذوب الرصـاص في النار، فنعوذ بالله تعـالى ذكره من غضبه ونزول نقمته.[٢٠٢]

(نهاية قصة أصحاب الرس)

قصة ادريس عليه السلام

قصــة إدريــسعليه السلام

من أحد الأنبياء الذي جاء ذكر اسـمه في القرآن مرتان(٢٠٣) وعُرّف في الآية (٥٦) من سـورة مريم بالنبـيّ الصّديـق هو إدريسعليه السلام والذي نلفـت نظركم الى بعض خصوصيّاتـه: كان إدريسعليه السلام والذي يسـمى «أُخنوخ» يعيش بالقرب من الكوفة في مسجد السهلة حالياً، وكانت حياته في الارض ثلاثمائة سنة، وكان خياطاً وأول من طرز الطرز وخاط بالابرة، وخاط الثياب ولبسها، وكان من قبله يلبسون الجلود، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، ويتّصل نسبه الى آدمعليه السلام بخمسة واسطة.

وكان رجـلاً طويـلاً، ضخم البطن، وعظيم الصدر، قليل الصوت، دقيـق المنطق قريب الخطى إذا مشـى، وهو أول من خطّ بالقلم وعلّمه الله سـبحانه وتعالى النجوم والحساب وعلم الهيئة، وكان يعلّم الناس الكتب السماوية ويعظهم وإنما سمّي إدريس لكثرة ما كان يدرس من حكم الله عزّ وجلّ وسنن الاسلام وهو بين أظهر قومه.

وبعد وفاته رفعه الله عزّ وجلّ مكاناً عليّاً في الجنة وأطعم من تحف الجنة بعد وفاته.

وكان يفكّـر كثـيراً في عظمـة الله عزّ وجـلّ فقال: إن لهذه السـماوات ولهذه الارضـين ولهذه الخلق العظيم والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطـر وهذه الأشياء التي تكون لربّاً يدبّرها ويصلحها بقدرته فكيف لي بهذا فأعبده حق عبادته.(٢٠٤)

مقاطع عن مواعظ إدريسعليه السلام

أيها الانسـان ! فكأنك بالموت قد نزل، فاشـتد أنينك، وعرق جبينك، وتقلّصت شـفتاك، وانكسر لسـانك، ويبـس ريقك، وعلا سـواد عينيك بياض، وأزبد فـوك، واهتزّ جميع بدنـك، وعالجت غصة الموت وسـكرته ومرارته وزعقته، ونوديت فلم تسـمع، ثم خرجت نفسـك وصرت جيفة بين أهلك، إن فيك لعبرة لغيرك، فاعتبر في معاني الموت، إن الذي نزل نازل بك لا محالة، وكل عمر وإن طال فعن قليل يفنى، لأن كل ما هو آت قريب لوقت معلوم، فاعتبر بالموت يا من يموت، واعلم أيها الانسان أن أشد الموت ما قبله، والموت أهون مما بعده من شدة أهوال يوم القيامة، ثم ذكر أحوال الصيحة والفناء ويوم القيامة ومواقف الحساب والجزاء ما يعجز عن سماعه قوة الأقوياء.(٢٠٥)

جزء من سنن وأوامر إدريس عليه السلام

اعلموا واستيقنوا أن تقوى الله هي الحكمة الكبرى، والنعمة العظمى، والسبب الداعي الى الخير، والفاتح لأبواب الخير والفهم والعقل، لأن الله لما أحب عباده وهب لهم العقل واختص أنبياءه وأولياءه بروح القدس، فكشفوا لهم عن سرائر الديانة وحقائق الحكمة لينتهوا عن الضلال ويتبعوا الرشاد، ليتقرر في نفوسهم أن الله أعظم من أن تحيط به الأفكار، أو تدركه الأبصار، أو تحصله الأوهام، أو تحده الأحوال، وأنه المحيط بكل شيء والمدبر له كما شاء، لا يتعقب أفعاله، ولا تدرك غاياته، ولا يقع عليه تحديد ولا تحصيل ولا مشاور ولا اعتبار ولا فطن ولا تفسير ولا تنتهي استطاعة المخلوقين الى معرفة ذاته ولا علم كنهه.

ادعوا الله في أكثر أوقاتكم متعاضدين متألهين في دعائكم فإنه إن يعلم منكم التظافر والتوازر يجب دعاءكم ويقض حاجاتكم، ويبلّغكم آمالكم، ويفض عطاياه عليكم من خزائنه التي لا تفني.

إذا دخلتم في الصيام فطهّروا نفوسكم من كل دنس ونجس، وصوموا لله بقلوب خالصة صافية منزهة عن الأفكار السيئة والهواجس المنكرة، فإن الله سيحبس القلوب اللطخة والنيّات المدخولة ومع صيام أفواهكم من المآكل فلتصم جوارحكم من المآثم، فإن الله لا يرضى منكم أن تصوموا من المطاعم فقط، لكن من المناكير كلها والفواحش بأسرها، وإذا دخلتم في الصلاة فاصرفوا لها خواطركم وأفكاركم، وادعوا الله دعاء طاهراً متفرغاً، وسلوه مصالحكم ومنافعكم بخضوع وخشوع وطاعة واستكانة، وإذا بركتم وسجدتم فأبعدوا عن نفوسكم أفكار الدنيا وهواجس السوء وأفعال الشر واعتقاد المكر والمآكل السحت والعدوان والأحقاد واطرحوا بينكم ذلك كله.(٢٠٦)

هداية ألف شخص بإرشادات إدريس عليه السلام

وكان إدريس عليه السلام يعظ قومه ويذكّرهم ويخوفهم ويدعوهم الى عبادة خالق الاشياء، فلا يزال يجيبه واحد بعد واحد حتى صاروا سبعة ثم سبعين الى أن صاروا سبعمائة ثم بلغوا ألفاً، فلما بلغوا ألفا قال لهم: تعالوا نختر من خيارنا مائة رجل، فاختاروا من خيارهم مائة رجل، واختاروا من المائة سبعين رجلا، ثم اختاروا من السبعين عشرة، ثم اختاروا من العشرة سبعة، ثم قال لهم: تعالوا فليدع هؤلاء السبعة وليؤمن بقيتنا فلعل هذا الرب جلّ جلاله يدلّنا على عبادته، فوضعوا أيديهم على الارض ودعوا طويلاً فلم يتبين لهم شيء، ثم رفعوا أيديهم الى السماء فأوحى الله عزّ وجلّ الى إدريس عليه السلام ونبّأه ودلّه على عبادته، ومن آمن معه فلم يزالوا يعبدون الله عزّ وجلّ لا يشركون به شيئاً حتى رفع الله عزّ وجلّ إدريس الى السماء.(٢٠٧)

مبارزة إدريس عليه السلام طاغوت عصره

لم يكتف إدريس عليه السلام بالعبادة ووعظ الناس بل كان متوجّهاً للمجتمع بأسره، فإن ظُلم أحدٌ منهم قام بحماية المظلوم ووقف معه أمام الظالم، وكمثال على ذلك نتطرق الى القصة التالية:

كان يحكم في زمنه ملك طاغي وجبار، وكان إدريس عليه السلام وأتباعه لا يطيعون الملك ويخالفونه علناً، لذا سمّوا من قبل الملك الجبّار «بالرافضيين».

ذات يوم ركب الملك في بعض نزهة فمرّ بأرض خضرة لعبد مؤمن من الرافضة فأعجبته، فسأل وزراءه: لمن هذه الأرض؟

قالوا: لعبد من عبد الملك فلان الرافضي، فدعا به فقال له: أمتعني بأرضك هذه.

فقال له: عيالي أحوج إليها منك.

قال: فسمني بها أثمن لك.

قال: لا أمتعك ولا أسومك دع عنك ذكرها، فغضب الملك عند ذلك وأسف وانصرف الى أهله وهو مغموم مفكر في أمره، وكانت له امرأة من الأزارقة وكان بها معجباً يشاورها في الأمر إذا نزل به، فلما استقر في مجلسه بعث إليها ليشاورها في أمر صاحب الارض فخرجت إليه فرأت في وجهه الغضب، فقالت له: أيها الملك ما الذي دهاك حتى بدا الغضب في وجهك قبل فعلك؟

فأخبرها بخبر الارض وما كان من قوله لصاحبها ومن قول صاحبها له فقالت: أيها الملك إنما يغتم ويأسف من لا يقدر على التغيير والانتقام وإن كنت تكره أن تقتله بغير حجة فأنا أكفيك أمره وأصير أرضه بيدك بحجة لك فيها الغدر عند أهل مملكتك، قال: وما هي؟

قالت: أبعث إليه أقواماً من أصحابي أزراقة حتى يأتوك به فيشهدوا عليه عندك إنه قد برئ من دينك فيجوز لك قتله وأخذ أرضه، قال: فافعلي ذلك.

فكان لها أصحاب من الأزارقة على دينها يرون قتل الرافضة من المؤمنين، فبعثت الى قوم منهم فأتوهم فأمرتهم أن يشهدوا على فلان الرافضي عند الملك أنه قد برئ من دين الملك فشهدوا عليه أنه قد برئ من دين الملك فقتله واستخلص أرضه، فغضب الله للمؤمن عند ذلك فأوحى الله الى إدريس عليه السلام أن ائت عبدي هذا الجبار فقل له: أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن ظلماً حتى استخلصت أرضه خالصة لك فأحوجت عياله من بعده وأجعتهم؟ أما وعزتي لانتقمن له منك في الآجل، ولأسلبنك ملكك في العاجل، ولأخرّبن مدينتك، ولأذلّن عزّك، ولأطعمن الكلاب لحم امرأتك، فقد غرّك يا مبتلى حلمي عنك.

فأتاه إدريس عليه السلام برسالة ربه وهو في مجلسه وحوله أصحابه.

فقال: أيها الجبار إني رسول الله إليكم وهو يقول لك: أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن ظلماً حتى استخلصت أرضه خالصة لك، وأحوجت عياله من بعده وأجعتهم؟ أما وعزّتي لانتقمن له منك في الآجل، ولأسلبنك ملكك في العاجل، ولأخربنّ مدينتك، ولأذلنّ عزّك، ولأطعمنّ الكلاب لحم امرأتك.

فقال الجبار: اخرج عنّي يا إدريس فلن تسبقني بنفسك، ثم أرسل إلى امرأته فأخبرها بما جاء به إدريس فقالت: لا يهولنك رسالة إله إدريس، أنا أرسل إليه من يقتله فتبطل رسالة إلهه وكل ما جاءك به، قال: فافعلي.

وكان لإدريس أصحاب من الرافضة مؤمنون يجتمعون إليه في مجلس له فيأنسون به ويأنس بهم، فأخبرهم إدريس بما كان من وحي الله عزّ وجلّ إليه ورسالته الى الجبار وما كان من تبليغ رسالة الله الى الجبار، فأشفقوا على إدريس وأصحابه وخافوا عليه القتل، وبعثت امرأة الجبّار الى إدريس أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوه فأتوه في مجلسه الذي كان يجتمع إليه فيه أصحابه فلم يجدوه، فانصرفوا وقد رآهم أصحاب إدريس فحسّوا أنهم أتوا إدريس ليقتلوه فتفرقوا في طلبه فلقوه فقالوا له: خذ حذرك يا إدريس فإن الجبّار قاتلك، قد بعث اليوم أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوك فاخرج من هذه القرية، فتنحى إدريس عن القرية من يوم ذلك ومعه نفر من أصحابه، فلما كان في السحر ناجى إدريس ربه فقال: يا رب بعثتني إلى جبّار فبلغت رسالتك، وقد توعدني هذا الجبّار بالقتل، بل هو قاتلي إن ظفر بي.

فأوحى الله إليه أن تنح عنه واخرج من قريته وخلني وإياه، فوعزتي لأنفذن فيه أمري، ولأصدقن قولك فيه وما أرسلتك به إليه.

فقال إدريس: يا رب إنّ لي حاجة، قال الله سبحانه وتعالى: سلها تعطها.

قال: أسألك أن لا تمطر السماء على أهل هذه القرية وما حولها وما حوت عليه حتى أسألك ذلك.

قال الله عزّ وجلّ: يا إدريس إذا تخرب القرية ويشتد جهد أهلها ويجوعون.

فقال إدريس: وإن خربت وجهدوا وجاعوا، قال الله تعالى: فإني قد أعطيتك ما سألت ولن أمطر السماء عليهم حتى تسألني ذلك وأنا أحق من وفى بعهده، فأخبر إدريس أصحابه بما سأل الله عزّ وجلّ من حبس المطر عنهم وبما أوحى الله إليه ووعده أن لا يمطر السماء عليهم حتى أسأله ذلك، فاخرجوا أيها المؤمنون من هذه القرية إلى غيرها من القرى، فخرجوا منها وعدّتهم يومئذ عشرون رجلاً فتفرقوا في القرى، وشاع خبر إدريس في القرى بما سأل الله تعالى، وتنحى إدريس الى كهف في الجبل شاهق فلجأ

إليه ووكل الله عزّ وجلّ به ملكاً يأتيه بطعامه عند كل مساء وكان يصوم النهار فيأتيه الملك بطعامه عند كل مساء، وسلت الله عزّ وجلّ عند ذلك ملك الجبار وقتله وأخرب مدينته وأطعم الكلاب لحم امرأته غضباً للمؤمن.

وبقى القحط لمدة عشرين سنة، فآمن القوم بالله عزّ وجلّ وبإدريس عليه السلام واستغفروا ربهم وتابوا، فدعا إدريس عليه السلام ربه برفع العذاب عنهم، فرفع الله سبحانه عنهم البلاء وانتصر إدريس عليه السلام. (٢٠٨)

أمنية إدريس عليه السلام لإستمرار حياته لحمد الله وشكره

جاء ملك من عند الله عزّ وجلّ إدريس عليه السلام وبشّره بغفران ذنوبه وقبول أعماله، فسرّ إدريس عليه السلام كثيراً وشكر الله جلّ ثناؤه ثم تمنى أن يعيش دائماً ويشكر الله تعالى.

فسأله الملك: ألك إلي حاجة؟

قال: نعم، احب أن أعيش وأشكر الله عزّ وجلّ، فإني قد كنت أطلب من الله عزّ وجلّ في طول حياتي قبول أعمالي، والآن وبعد قبول أعمالي أحبّ أن أشكر ربّي على ذلك وأداوم عليه.

فأخذه الملك الى جناحه ووصل به الى السماوات، فبقى إدريس عليه السلام حيّاً ومشغول بشكر الله عزّ وجلّ. (٢٠٩)

وطبقاً لبعض الروايات أن الملك أخذه اليالسماوات وقبض روحه عزرائيل عليه السلام بين السماء الرابعة والسماء الخامسة كما سنذكر.

قبض روح إدريس عليه السلام بين السماء الرابعة والخامسة

قال الامام الصادق عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر، فلما بعث الله إدريس عليه السلام جاء ذلك الملك إليه فقال: يا نبي الله ادع الله أن يرضى عنّي ويرد علي جناحي.

قال: نعم، فدعا إدريس ربه فردّ الله عليه جناحه ورضي عنه، قال الملك لإدريس: ألك حاجة؟

قال: نعم، أحب أن ترفعني الى السماء حتى أنظر الى ملك الموت لعلي آنس به فإنه ليس يهنؤني مع ذكره شيء، فأخذه الملك الى جناحه حتى انتهى به الى السماء الرابعة فإذا ملك الموت جالس يحرك رأسه تعجباً، فسلم إدريس على ملك الموت وقال له: ما لك تحرك رأسك؟

قال: إنّ ربّ العزّة أمرني أن أقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة، فقلت له: يا رب كيف يكون هذه وغلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرابعة الى السماء الثالثة مسيرة

خمسمائة عام، ومن السماء الثالثة الى الثانية مسيرة خمسمائة عام وكل سماء وما بينهما كذلك، فكيف يكون هذا؟ (وأنا الآن موجود في ظل العرش، وبيني وبين الارض مسافة طويلة جداً، وإدريس موجود في الارض، فكيف يصعد إدريس هذه المسافة الطويلة ويطويها الى السماء الرابعة؟!!)

ثم قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وهو قوله تعالى (في الآية (٥٧) من سورة مريم): ﴿**ورفعناه مكاناً عليّاً**﴾.[٢١٠]

قال النبي ﷺ في حديثه عن الاسراء والمعراج: ثم صعدنا الى السماء الرابعة وإذا فيها رجل فقلت: من هذا يا جبرئيل؟

فقال: هذا إدريس رفعه الله مكاناً عليّاً، فسلّمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي.[٢١١]

(نهاية قصص حياة إدريس عليه السلام)

قصـــة أصحاب الفيل

قصة أصحاب الفيل

لما أصبحت اليمن تحت تصرف الحبشـة، جعل النجاشي ملك الحبشة «أرياط» حاكماً لليمن، وفتح اليمـن أحد القواد ويسـمى «أبرهة» والذي اختلف مع «أريـاط» على الحكم، فقتل أرياط على يد أتباع أبرهة، ونتيجة لذلك أصبح أبرهة حاكماً لليمن.

وكان أبرهة من المسيحيين المتعصّبين لدينهم، وكان يدعو الناس بشدة الى دين المسيح عليه السلام، وبنى له في صنعاء كنيسة عظيمة جداً ولم ير مثلها في زمانها بشئ من الارض وسعى كثيراً حتى يصرف العرب عن مكّة والكعبة ويتجهون الى الكنيسة وأخبر بها ملك الحبشة.

ومن جهة أخرى كانت القبائل العربية المختلفة تتجه الى الكعبة وتقدّسها، وإزداد زوّار الكعبة يوماً عن يوماً.

ولكـن أعلـن أبرهة أن حـجّ العرب يجـب أن يصرف مـن الكعبة ويتجه الى كنيسـة اليمـن، وهذا الاعـلان أدّى الى غضب أحد الأعراب، فقام الى الكنيسـة وأحدث فيها، فأخبر بذلك أبرهة، فغضب وحلف بأن يسير الى مكّة بجيشه ويهدم الكعبة.

ثم أمر الحبشـة فتهيأت وتجهزت، ثم سـار وخرج معه بالفيل، وسـمعت بذلـك العرب فأعظموه وفظعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام.

فخـرج إليـه رجل كان من أشراف أهل اليمـن وملوكهم يقال له: ذو نفر، فدعا قومه من أجابه من سائـر العرب الى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه الى ذلك من أجابـه، ثـم عرض له فقاتله، فهزم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر فأتى به أسـيراً، فلما أراد قتله قال لـه ذو نفـر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسـى أن يكون بقائي معك خيراً لك مـن قتلي، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثـم مـضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتـى إذا كان بأرض «خثعم» عرض له نُفيل بن حبيـب الخثعمي في قبيلى خثعم: شـهران، وناهـس، ومن تبعه من قبائل العـرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نفيل أسيراً فأتى به، فلما هم بقتله قال له نُفيل: أيها الملك، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبيلى خثعم: شهران، وناهس، بالسمع والطاعة، فخلى سبيله.

وخـرج به معه يدلـه، وفي طريقه عرض عليه مجموعات من قبائل العـرب يريدون قتاله دفاعاً عن الكعبة، ولكنهم لما رأوا جيش أبرهة المجهّز ورأوا أنهم لا طاقة لهم في قتاله، تركوا ذلك.

فلـما نـزل أبرهة المغمس (وتقع على بعد ثلثي فرسـخ مـن مكة في طريق الطائـف) بعث رجلاً من الحبشـة يقال له: الاسـود بن مقصـود على خيل له، حتى انتهى الى مكة، فسـاق إليه أمـوال أهل تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطّلب بن هاشـم جدّ الرسـولﷺ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها.

وبعث أبرهة حناطة الحميري الى مكة، وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلـد وشريفها، ثم قل له: إن الملـك يقـول لـك: إني لم آت لحربكم، إنما جئـت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضـوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربي فأتني به، فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيـل له: عبد المطلب بن هاشـم بن عبد مناف بن قصي، فجاءه فقال لـه ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلـب: والله مـا نريد حربه، وما لنا بذلك مـن طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيـت خليله إبراهيمعليه السلام، فإن يمنعه الله منه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال له حناطة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

لقاء وحديث عبد المطّلب بأبرهة

فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض نبيه حتى أتى العسـكر، فسـأله عن ذي نفر، وكان له صديقاً، حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نفر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟

فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً !

ما عندي غناء في شئ مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، واسـأله أن يسـتأذن لك على الملك، فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك، فقال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عـير مكـة، يطعـم الناس بالسـهل، والوحـوش في رؤوس الجبـال، وقد أصـاب له الملـك مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلّم أنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك، فيكلمك في حاجته.

فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي أن يرد على الملك مئتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد هدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟!

قال له عبد المطلب: إني أنا رب الابل، وإنّ للبيت ربّاً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك.

دعاء ومناجاة عبد المطلب

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شغف الجبال، والشعاب، تخوفاً منهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هم إنّ العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبوا بصليبهم ومحالهم عدواً محالك
جرّوا جميع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
لا هم إنّ المرء يمنع رحله فامنع عيالك
وانصر على آل الصّليب وعابديه اليوم آلك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، وأمر أحد أبنائه(٢١٢) بأن يذهب الى جبل أبو قبيس ويتقصى الخبر.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبى جيشه، وكان اسم الفيل محموداً، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف الى اليمن.(٢١٣)

فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذن فقال: ابرك محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم، فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً الى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه الى مكة فبرك، وطبقاً لبعض الروايات أنهم حملوا عليه بالسيوف وقطعوه فأرسل عليهم الطير.[٢١٤]

أرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت.

وخرجوا[٢١٥] هاربين يبتدون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة:

أين المفرُّ والاله الطّالب
والأشرم المغلوب ليس الغالب

نهاية أبرهة المهلكة

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعتها منه مدة تمث قيحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر (من المحتمل بقاءه في الحياة لذلك الزمن حتى يكون ذلّه وهوانه عبرةً للآخرين)، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه.

لما أتت الطيور من جهة البحر الأحمر للقضاء على أبرهة وجيشه، كان عبد الله بن عبد المطّلب على جبل أبو قُبيس، ورأى ما حدث، فأتى أبيه وقال: أبتاه ! أرى سحابة سوداء آتية إلينا من البحر.

ففرح عبد المطّلب ونادى: يا معشر قريش، ارجعوا الى بيوتكم فقد جاء نصر الله.

حصلت هذه الحادثة العجيبة في نفس السنة التي ولد بها رسول الاسلامﷺ، وكانت مهمة جداً لدرجة أنهم سمّوا ذلك العام بعام الفيل.

وبعد بعثة الرسولﷺ بيّن الله عزّ وجلّ هذه الحادثة باختصار في سورة الفيل (السورة المائة والخمسة من سور القرآن) وأنزلها على رسول اللهﷺ في مكّة:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾.(٢١٦)

كانت هذه هي نهاية من صمّ نعرته المغرورة آذان الفلك، فتلاشى هو مع جيشه بشكلٍ رهيب لا مثيل له في التاريخ، وكما قال القرآن «كعصف مأكول».

نقاط عبرة في حادثة أصحاب الفيل

جاءت نقاط في الأحاديث الاسلامية بخصوص حادثة القضاء على جيش أبرهة بواسطة الطيور حيث نلفت نظركم الى بعضها:

١- لما أسقط الطيور الحجارة، هبّت رياح شديدة فأدّت الى زيادة سرعة تلك الحجارة لذا أصابت جنود أبرهة بشدة.

٢- لما كانت الحجرة تسقط على أحدهم كانت تخرق جسمه وتخرج من أسفل جسمه.(٢١٧)

٣- أرسل عبد المطلب ابنه عبد الله والد الرسول ﷺ الى جبل أبو قبيس وقال له: اذهب يا بني حتى تصعد أبا قبيس ثم اضرب ببصرك ناحية البحر فانظر أي شيء يجئ من هناك وأخبرني به.

فصعد عبد الله أبا قبيس فما لبث أن جاء طيراً أبابيل مثل السيل والليل، فسقط على أبي قبيس ثم صار الى البيت فطاف سبعاً ثم صار الى الصفا والمروة فطاف بهما سبعاً.

فجاء عبد الله الى أبيه فأخبره الخبر، فقال: انظر يا بني ما يكون من أمرها بعد فأخبرني به، فنظرها فإذا هي قد أخذت نحو عسكر الجبشة فأخبر عبد المطلب بذلك، فخرج عبد المطلب وهو يقول: يا أهل مكة اخرجوا الى العسكر فخذوا غنائمكم، فأتوا العسكر وهو أمثال الخشب النخرة وليس من الطير إلا ومعه ثلاثة أحجار في منقاره ويديه، يقتل بكل حصاة منها واحداً من القوم، فلما أتوا على جميعهم انصرف الطير فلم ير قبل ذلك ولا بعده.(٢١٨)

٤- ولما هلك القوم بأجمعهم جاء عبد المطلب الى البيت فتعلق بأستاره وقال:

يا حابس الفيل بذي المغمّس

حبسته كأنّه مُكوّس

في مجلسٍ تُزهق فيه الأنفس(٢١٩)

٥- قال الامام السّجادعليه السلام: كان أبو طالب يضرب عن رسول الله ﷺ بسيفه فقال أبو طالب: يا بن أخ الى الناس كافة أرسلت أم الى قومك خاصة؟

قال: لا بل الى الناس أرسلت كافة الأبيض والأسود والعربي والعجمي، والذي نفسي بيده

لأدعـون الى هـذا الأمر الأبيض والأسـود ومن عـلى رؤوس الجبـال ومن في لجج البحـار، ولأدعون فارس والروم.

فحيرت قريش واستكبرت وقالت: أما تسمع الى ابن أخيك وما يقول والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً.

فأنزل الله سبحانه في قولهم لقلعت الكعبة حجراً حجراً ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الى آخر الآية.

٦- قـال الامـام الصادقعليه السلام ضمن حديث له: فما انفلـت منهم إلا رجل واحد يخبر الناس، فلما أن أخبرهم ألقت عليه فقتلته.(٢٢٠)

٧- قصـة أصحـاب الفيل هي من الامـور القطعية في التاريـخ والتي كانت من معجزات رسـول الاسـلامصلى الله عليه وآله وسلم والتـي تعبّر عنها بـ«إرهاص» وهي أنها كانـت أرضية لصدق رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، لذا لما قرأ رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم سـورة الفيـل على المشركـين، لم يتجرأ أحدٌ منهـم أن ينكر حادثة الفيل وهزيمة عسـكر أبرهة.

٨- وأخيراً، كما أن الله عزّ وجلّ كسّر عصا سـليمانعليه السلام بالنمل وأظهر قومه، وضعّف سـدّ قوم سبأ العظيم بفئران الصحراء والذي أدّى الى هدم السّـد وهلاك ذلك القوم المغرور، فإنه يسـتطيع بحجارةٍ صغـيرة أن يهلـك جيش أبرهة المجهّز حتى يعلم كل مغرور وقوي في العـالم أنّ الله عزّ وجلّ قادر على كل شيء.

(نهاية قصة أصحاب الفيل)

الهوامش

قصة حياة نبى الاسلامﷺ

(١) الاحزاب: ٢١.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠، ص٢٤١.

(٣) بحار الانوار: ج ١٨ ص ١٨٠.

(٤) مناقب آل ابى طالب: ج ١، ص ٤٩-٥٠.

(٥) إيذاء أبو لهب للرسولﷺ والدوام على ذلك أدّى الى نزول سورة «تبّت» في توبيخه وأشارت الى قصة ردّة فعل أبا لهب وزوجته الشديدة برسول اللهﷺ.

(٦) البحار: ج ١٨، ص ٢٣.

(٧) الشعراء: ٢١٤.

(٨) أعد لهم طعاماً يشبع شخص واحد أو شخصان ولكن كل المدعوّين أكلوا من ذلك الطعام وشبعوا وأيضاً بقى منه وبهذا الترتيب كانت دعوة محمدﷺ معجزة.

(٩) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢١٧، الكامل لابن الاثير: ص ٢٤، بحار الانوار: ج ١٨، ص ١٩١.

(١٠) البحار: ج ١٨، ص ٢٧٩ - ٣٨١.

(١١) نفس المهموم: ص ٢٦١.

(١٢) البحار: ج ٦٥، ص ٧٦.

(١٣) البحار: ج ١٨، ص ٣٧٩، مجمع البيان: ج ٦، ص ٣٩٥.

(١٤) اقتباساً عن البحار: ج ١٨، ص ٣٧٨ و ٣٨٤.

(١٥) سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ١٢٦، ناسخ التواريخ الهجرية: ج ١ ص ١٤.

(١٦) تاريخ اليعقوبى: ج٢، ص ٢٣- ٢٩.

(١٧) الانفال: ٥- ٥١، البقرة: ٢١٧و٢١٨.

(١٨) راجع شرح الواقعة تفصيلاً في كتاب كحل البصر، اعلام الورى، ناسخ التواريخ: ج ١، تاريخ الطبرى:

ج٢، ص ٢٧٠، ارشاد المفيد: ص ٣٢.

(١٩) مجمع البيان: ج ١و٢، ص ٥١٣.

(٢٠) مجمع البيان: ج ٢، ص٥٣٩.

(٢١) مجمع البيان: ج ٢، ص٥٣٩، التفسير المثالي: ج ٣، ص١٧٥.

(٢٢) اقتباساً عن مجمع البيان: ج ٢، ص٥٤٠ - البحار: ج ٢٠، ص٤٠.

(٢٣) منتهى الآمال، ص ٤٧، وقيل في بعض الروايات أن الرسولﷺ هو الذي أسرهما (كحل البصر، ص٩٦).

(٢٤) البحار: ج ٢٠، ص ٩٩ و١١١.

(٢٥) من المحتمل المقصود من هؤلاء الجنود الغير مرئيين هو الملائكة الذين ساعدوا المسلمين في يوم بدر، أو المقصود تقوية نفوس المؤمنين من قبل الله عزّ وجلّ.

(٢٦) البحار: ج ٢٠، ص ٢١٥.

(٢٧) إرشاد المفيد: ج ١، ص ٨٩ - ٩٠، تاريخ الخميس: ج ١، ص ٤٨٦.

(٢٨) إرشاد المفيد: ج ١، ص ٩٣.

(٢٩) مستدرك الحاكم: ج٣، ص ٣٢، إحقاق الحقّ: ج٦، ص ٥٤ و ٥٥.

(٣٠) بحار الانوار: ج ٢٠، ص ٢١٦.

(٣١) مجمع البيان: ج٩، ص ٢٥٢.

(٣٢) المرط: الكساء.

(٣٣) تاريخ كامل ابن الأثير: ج٢، ص ١٢٠، البحار: ج ٢٠، ص ٢٠٨.

(٣٤) جاء ذكر حادثة الطوفان والريح في الآية ٩ من سورة الاحزاب.

(٣٥) أيضا أشار القرآن لهذا المطلب، كما نقرأ في آيات متعددة منها الآية (٥٦) من سورة الانفال: ﴿**الذين عاهدت منهم ثمّ ينقضون عهدهم في كلّ مرّةٍ وهم لا يتّقون**﴾ (مجمع البيان: ج٤، ص ٥٥٢).

(٣٦) كانت ردّة فعل الرسولﷺ شديدة على اليهود وذلك لأنه لم يكن هناك حلاً مؤثّراً آخر غير ذاك الحل لمنع خطرهم نتيجة لنقضهم العهد وخيانتهم.

(٣٧) جاءت هذه القصة في سورة الحشر، وكان من حيل بني نضير ونقضهم العهد أنهم كانوا يحرّضون أحزاب من قريش وبني غطفان وقبائل أخرى على الرسولﷺ، اذن أليس كان من الجدير أن تعاقبهم الحكومة الاسلامية بشدة؟.

(٣٨) ولكن الخندق منعهم من الدخول الى المدينة.

(٣٩) سيأتي ذكر قصة أبي لبابة لاحقاً.

(٤٠) أرقعة جمع رقيع: اسم سماء الدنيا.

(٤١) اقتباساً عن تفسير الميزان: ج٩، ص ١٢٦-١٢٩، قصة الباستان: ص ٢٠٦ وحتى ٢١٤.

(٤٢) اقتباساً عن مجمع البيان: ج٥، ص ٦٧ (بنقلٍ عن الامام الباقرؑ)، تفسير الميزان: ج٩، ص ١٢٨.

(٤٣) المهاجرين: مسلمي مكة.

(٤٤) الانصار: مسلمي المدينة.

(٤٥) ﴿... يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليُخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ ولله العزّةُ ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون﴾ (المنافقون: ٨).

(٤٦) اقتباساً عن مجمع البيان: ج ١٠، ص ٢٩٣، حصلت هذه الواقعة في السنة السادسة من الهجرة.

(٤٧) العبارة «ظِهار» كانت عبارة طلاق وشائعة بين الجاهليين، وجاء الاسلام فاعتبرها تحرم المرأة على زوجها وترجع إليه بوسيلة الكفّارة، ولكن حرّم الاسلام الطلاق بهذه الصورة ونزلت الآيات من (١) وحتى (٤) من سورة المجادلة في تلك المسألة.

(٤٨) اقتباساً عن تفسير مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٤٦.

(٤٩) زينب بنت جحش، والدتها هي أميمة بنت عبد المطلب، إذن هي بنت عمة الرسولﷺ.

(٥٠) مجمع البيان: ج٨، ص ٣٥٩.

(٥١) نقرأ في الآية (٣٧)من سورة الأحزاب: ﴿فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾.

(٥٢) توضيح هذا المطلب جاء في التفسير المثالي: ج١٧، ص ٣١٦-٣٢٩.

(٥٣) يرقأ: يجف.

(٥٤) أي تأخر.

(٥٥) مجمع البيان: ج٧، ص ١٣٠، التفسير المثالي: ج١٤، ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٥٦) والذي حصل في السنة السادسة من الهجرة.

(٥٧) مكاتيب الرسولﷺ: تأليف آية الله علي الأحمدي في مجلدين، وكتاب محمد والحكّام: تأليف آية الله الصابري الهمداني.

(٥٨) اقتباساً عن مكاتيب الرسولﷺ: ص ١٩٠-١٠٠، وعن البحار: ج ٢٠، ص ٣٨٩-٣٩١.

(٥٩) وطبقاً لنقلٍ آخر أن قبيلة بني بكر هم الذين نقضوا العهد، وبمساعدة قريش هجموا على طائفة خزاعة وقتلوا منهم عشرون رجلاً (منتهى الآمال: ج١، ص ١٦٠).

(٦٠) بدأوا بالحركة في اليوم الاول أو الثاني من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة ووصلوا مكّة في اليوم العاشر وفي اليوم السابع عشر من رمضان فتح المسلمون مكّة.

(٦١) لشرح أكثر راجع الى: تاريخ الطبري: ج٣، ص ٢٠، كامل ابن أثير: ج٢، ص ٢٣٩-٢٧٢، أعلام الورى: ١١٢ - ١١٨، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص ٤٣، البحار: ج٢١ وغيرهم.

(٦٢) نور الثقلين: ج٥، ص ١٥٠.

(٦٣) مجمع البيان: ج٩، ص ١٢٦.

(٦٤) والذين كانوا (١٤٠٠) شخص.

(٦٥) اقتباساً عن مجمع البيان: ج٩، ص ١٠٩، تفسير الفرقان: ج٢٦، ص ١٤٥، وتفسير القمي: بداية سورة الفتح.

(٦٦) تفسير المراغي: ج٢٦، ص ٨٥، تفسير أبو الفتح الرازي: ج ١٠، ص ٢٦.

(٦٧) الدّر المنثور: ج٦، ص ١٠٩.

(٦٨) جوامع الجامع، تفسير نور الثقلين: ج٥، ص ٤٨ (طبقاً لنقل التفسير المثالي: ج٢٢، ص ١٦).

(٦٩) اقتباسا عن كتاب كيوركيو: ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٧٠) مع التوجه الى أن أبي سفيان كان من عشيرة عثمان، لذلك كانت حياته مؤمنّة.

(٧١) كحل البصر للمحدّث القمّي: ص ١١٢ و ١١٣.

(٧٢) جاء شرح هذه القصة في تاريخ الطبري: ج٢، ص ٢١٨، سيرة ابن هشام: ج٢، البحار: ج٢٠ و٢١، نور الثقلين: ج٥، ص ٥٣ وما بعدها.

(٧٣) تلخيص واقتباس عن تاريخ الطبري: ج٢، ص ٢٨١.

(٧٤) أعلام الورى: ص ١٩١.

(٧٥) مجمع البيان: ج٩، ص ١٢٣.

(٧٦) جاء شرح هذا المطلب في سيرة ابن هشام: ج٤، ص ١٢، والبحار: ج٢٠ و ٢١.

(٧٧) الميزان: ج١٨، ص ٢٨٧، موسوعة التاريخ الاسلامي: عدد ٢٩، ص ٦.

(٧٨) كحل البصر: ص ١١٩، مجمع البيان: ج٩، ص ١٢٧.

(٧٩) الحديد: ١٠.

(٨٠) مجمع البيان: ج٢، ص ٢٨٤ ذيل الآية المذكورة.

(٨١) أعلام الورى: ص ١١٢، البحار: ج٢١، ص ١٢٥.

(٨٢) سيرة الحلبي: ج٣، ص ٢٨١.

(٨٣) طبقاً لبعض الروايات أن سارة هي مولاة أبي لهب.

(٨٤) اقتباساً عن قاموس الرجال: ج٣، ص ٤٢، مجمع البيان: ج٩، ص ٢٦٩، سيرة ابن هشام: ج٤، ص ٤١، وكشف الغمة: ج١، ص ٢٨١.

(٨٥) ارشاد المفيد: ص ٢٥، ٢٦، كشف الغمّة: ج١، ص ٢٨٩.

(٨٦) القصص: ٨٥، مجمع البيان: ج٧، ص ٢٦٩.

(٨٧) منتهى الآمال: ج١، ص ٦٣.

(٨٨) مجمع البيان: ج٣، ذيل الآية (٥٨) من سورة النساء.

(٨٩) البحار: ج ٢١، ص ١١٧.

(٩٠) تفسير كشف الاسرار: ذيل سورة النصر، ولكن الكثير من المفسّرين يقولون بأن تلك السورة نزلت في السنة العاشرة للهجرة عند حجّة الوداع.

(٩١) مجمع البيان: ج٩، ص ٢٧٤ ذيل الآية (١٢) من سورة الممتحنة، وتفسير القمي: ص ٣٦٤.

(٩٢) المقصود من تلك الامور هو وجوب اتباعهن لسنّة النبي ﷺ، ويحرمن محرماته، ويتجنبن المكروهات، ويفضل قيامهن بالمستحبات وعند المصائب لا يفعلن الامور السابقة والتي بعضها حرام والبعض الآخر مكروه، حيث أن المادة الخامسة والمادة السابعة من المكروهات، وخاصة بالنسبة الى النساء لأنهن غالباً عاطفيّات، وإذا تمّ الافراط في بعض تلك الامور فسوف يؤدّي الى الحرام.

(٩٣) تفسير القمي: ص ٣٦٤، البحار: ج ٢١، ص ١١٣.

(٩٤) كامل ابن أثير: ج٢٠، ص ١٠٤، السيرة الحلبية: ج ٢، ص ٢٥٧، البحار الطبعة القديمة: ج ٦، ص ٤٩٦.

(٩٥) سفينة البحار: ج٢، ص ٦٣٨، كامل ابن أثير: ص ٢٥٠، حبيب السير: ج ١، ص ٣٨٩.

(٩٦) وهذا هو الامداد الغيبي الذي أشير اليه في الآية (٢٦) من سورة التوبة.

(٩٧) وادي حنين هو وادٍ له انحدار بعيد ينتهي في حنين، وقد تحرك جيش الاسلام ليلاً من مكّة، ودخلوا حنين في الصباح الباكر بعد صلاة الصبح.

(٩٨) هؤلاء الاشخاص هم: ١- عليّ عليه السلام، ٢- عبّاس، ٣- أبو سفيان بن حارث (ابن عم النبي)، ٤- نوفل بن حارث، ٥- ربيعة بن حارث، ٦و٧- عُتبة ومُعيّب (أبناء أبو لهب)، ٨- فضل بن عباس، ٩- عبدالله بن زبير وأضاف لهم البعض أيمن ابن أم أيمن.

(٩٩) تفسير المنار: ج١٠، ص ٢٦٢، البحار: ج ٢١، ص ١٥٠.

(١٠٠) أعلام الورى: ص ١١٩ - ١٢٣، مجمع البيان: ج٥، ص ١٧-١٩، كامل ابن أثير: ج ٢، ص ٢٣٩، البحار: ج ٢١، ص ١٤٦.

(١٠١) تقع الطائف على بعد ١٢ فرسخ جنوب شرقي مكّة.

(١٠٢) أعلام الورى: ص ١٢٣.

(١٠٣) «وج» بالتشديد: اسم بلد بالطائف.

(١٠٤) أعلام الورى: ص ١٢٤، يقول المؤرّخون أن عليّ عليه السلام قتل أربعين شخص (تفسير الصافي: ص ٢٢٩).

(١٠٥) تفسير الصافي: ص ٢٢٩، ذيل الآية ٢٥ من سورة التوبة، أعلام الورى: ص ١٢٣، طبقات ابن سعد: ج٢، ص١٥٢.

(١٠٦) اقتباسا عن البحار: ج ٢١، ص ٧٨ و٧٩.

(١٠٧) ارشاد المفيد: ج ١، ص ١٠٣ و١٠٤، البحار: ج٢١، ص ٩٠.

(١٠٨) البحار: ج٢١، ص ٩٠، تفسير الفرات: ص ٢٢٢ و ٢٢٦.

(١٠٩) مجمع البيان: ج٥، ص ٧٢ و ٧٣ وسائر التفاسير ذيل الآيات ١٠٧ حتى ١١٠ من سورة التوبة.

(١١٠) ديوان المثنى بخط الميرخاني: ج٢، ص ١٧٥ و ١٧٦.

(١١١) التوبة: ١١٨.

(١١٢) اقتباس عن سيرة ابن هشام: ج٤، ص ١٥٩ - ١٨١، كشف الغمة: ج١، ص ٣٠٤ و ٣٠٦، تفسير مجمع البيان: ج٥، ص ٧٩ وتفاسير أخرى ذيل الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(١١٣) تفسير المنار وتفسير الدّر المنثور، ذيل الآيات السابقة، الميزان: ج٣، ص ٤٠٢.

(١١٤) مجمع البيان: ج١ و ٢، ص ٤٨٢.

(١١٥) مجمع البيان: ج٦، ص ٤٦٥.

(١١٦) مجمع البيان: ج٦، ص ٢٣.

(١١٧) مجمع البيان: ج٨، ص ٤٣٤.

(١١٨) آل عمران: ٩٢.

(١١٩) اقتباسا عن مجمع البيان: ج١، ص ٤٧٤ وصحيح مسلم.

(١٢٠) أسد الغابة: ج٢، شرح حال أبي طلحة.

(١٢١) تاريخ الطبري: ج٢، ص ١٤٥، كحل البصر: ص ٨١ و ٨٤.

(١٢٢) مجمع البيان: ج٩، ص ٢٥٢ وتفاسير أخرى.

(١٢٣) النحل: ٤١، مجمع البيان: ج٦، ص ٣٦١.

(١٢٤) خصائص النسائي: ص ٢٨، مغازي الواقدي: ج٣، ص ١٠٧٧، ارشاد المفيد: ص ٣٣، حسكاني (المتوفي بعد سنة ٤٩٠ هجرية)، شواهد التنزيل: ج١، ص ٢٣٢ حدوداً ١٢ رواية في هذا المورد.

(١٢٥) مسند أحمد: ج١، ص ١٥١.

(١٢٦) طبقاً لبعض الروايات أن كبير هذه الهيئة هما عاقب وسيّد (مجمع البيان: ج ١ و ٢، ص ٤٥١).

(١٢٧) يوم المباهلة هو يوم ٢٤ من شهر ذي الحجة للسنة العاشرة من الهجرة، وكانت بين الطّلوعين.

(١٢٨) البحار: ج ٢١، ص ٣٣٨.

(١٢٩) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص ٢٢، سيرة الحلبي: ج٣، ص ٢٣٩، مجمع البيان: ج ١ و ٢، ص ٤٥٢، واتفقوا في معاهدة الصلح على أن يدفعوا كل سنة لرسول الله ﷺ ألفي حلّة من حلل الأواقي قيمة كل حلّة أربعون درهماً، وعلى عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين رمحاً، وثلاثين فرساً يكون رسول الله ﷺ ضامن حتّى يؤدّيها (مجمع البيان: ج ١ و ٢، ص ٤٥٢).

(١٣٠) إحقاق الحقّ: ج٣، ص ٤٦ نقلاً عن مصادر أهل السنّة، الدّر المنثور: ج٢، ص ٣٩.

(١٣١) مجمع البيان: ج١ و ٢، ص ٤٥٢.

(١٣٢) هذه الخطبة في بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٤٠٥، بيّن رسول الله ﷺ في هذه الخطبة خمسة عشرة دستوراً إسلاميا.

(١٣٣) جاء بيان الواقعة مفصلاً في كتاب الغدير المجلد الاول.

(١٣٤) مسند أحمد: ج٣، ص ١٧ و ٥٩، صحيح مسلم: المجلد ٢، ص ٣٨، الصواعق: ص ٩١، تفسير الفخر الرازي: ج٣، ص ٢٤.

(١٣٥) الغدير: ج١، ص ١١ و ٤٧.

(١٣٦) ذكر في بعض الروايات أن اسم هذا الشخص هو نضر بن حارث بن كلده (مجمع البيان: ج ١٠، ص ٣٥٢).

(١٣٧) يجب التوجه الى أن هذه العبارة جاءت في الآية (٣٢) من سورة الانفال والتي هي من أقوال الكفّار، وقال نعمان بن حارث بنفس العبارة التي نطق بها الكفّار.

(١٣٨) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٣٢٥، الغدير: ج١، ص ٢٣٩ وحتى ٢٤٦ نقلاً عن ثلاثون نفر من علماء أهل السنة المعروفين.

قصة نوح عليه السلام

(١٣٩) أشار القرآن الى مدّة نبوّته والتي كانت ٩٥٠ سنة في الآية ١٤ من سورة العنكبوت.

(١٤٠) البحار: ج ١١، ص ٢٨٥، آمالي الصدوق: ٣٠٦.

(١٤١) تاريخ الانبياء لعماد زاده: ص ٢٠١.

(١٤٢) البحار: ج ١١، ص ٢٨٧.

(١٤٣) مجمع البيان: ج١٠، ص٣٦١.

(١٤٤) نوح: ٧.

(١٤٥) هود: ٢٨ - ٢٩.

(١٤٦) كامل ابن الأثير: ج١، ص ٦٩.

(١٤٧) نوح: ٥.

(١٤٨) اقتباسا عن الآيات ٨ و ٩ و ٢٢ و ٢٣ من سورة نوح.

(١٤٩) كامل ابن الاثير: ج١، ص ٦٨.

(١٥٠) هود: ٣٢.

(١٥١) هود: ٣٦.

(١٥٢) هود: ٣٧.

(١٥٣) أعلام القرآن، دكتور الخزائلي: ص ٦٤٤.

(١٥٤) البحار: ج ١١، ص ٣١٩ - ٣٣٥.

(١٥٥) هود: ٣٨ و ٣٩، البحار: ج ١١، ص ٣٢٣.

(١٥٦) حياة الحيوان: ج٢، ص ٢١٩، البحار: ج ٦٥، ص ٥٢.

(١٥٧) لئالي الأخبار: ج٥، ص ٤٥٤.

(١٥٨) هود: ٤٠.

(١٥٩) هود: ٣٦.

(١٦٠) نوح: ٢٦ و ٢٧.

(١٦١) هود: ٤٢.

(١٦٢) هود: الآيات من ٤٢ وحتى ٤٧.

(١٦٣) الاسراء: ٣.

(١٦٤) عيون الاخبار: ص ٢٩، البحار: ج ١١، ص ٢٩١.

(١٦٥) ديوان المثنوي بخط الميرخاني: ص ٢٣٥ (الدفتر الثالث).

(١٦٦) البحار: ج ١١، ص ٣٠٣.

(١٦٧) بالنسبة الى موقع جبل جودي، جاءت في الروايات مواقع أخرى غير شمال العراق (مجمع البيان: ج٥، ص ١٦٥).

(١٦٨) أصول الكافي: ج٢، ص١٢٤.

(١٦٩) هود: ٤٤ و ٤٨.

(١٧٠) البحار: ج ١١، ص ٣١٣.

(١٧١) أعلام القرآن للخزائلي: ص ٢٨١.

(١٧٢) تاريخ حبيب السّير: ج١، ص ٣١.

(١٧٣) وبنقلٍ آخر ٥٠٠ سنة.

(١٧٤) البحار: ج ١١، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(١٧٥) كامل ابن الأثير: ج ١، ص ٧٣.

(١٧٦) امالي الصدوق: ص ٣٠٦، البحار: ج١١، ص ٢٨٦.

قصة هـود عليه السلام

(١٧٧) البحار: ج ١١، ص ٣٦٣.

(١٧٨) البحار: ج ١١، ص ٣٥٧.

(١٧٩) الميزان: ج ١٠، ص ٢٠٧ و٢٠٨.

(١٨٠) كان من قبلهم قوم عاد الأول والذي ذكر في القرآن في الآية (٥٠) من سورة النجم باسم «عاداً الأولى».

(١٨١) كما يستفاد هذا المطلب من الآية (٨) من سورة الفجر: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾.

(١٨٢) كما يستفاد هذا المطلب من الآية (٥٩) من سورة هود: ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله

واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾.

(١٨٣) هود: ٥٠ – ٥٦.

(١٨٤) الشعراء: ١٢٥ – ١٣٥.

(١٨٥) الشعراء: ١٣٦ – ١٣٩.

(١٨٦) الاحقاف: ٢٢.

(١٨٧) اقتباس عن الآية (٥٤) من سورة هود والآية (٦٦) من سورة الأعراف.

(١٨٨) الاعراف: ٦٥– ٧١.

(١٨٩) كسورة الذاريات، الآية (٤١) وما بعدها، وسورة الحاقّة، الآية (٦) وما بعدها، وسورة القمر، الآية (١٨) وما بعدها.

(١٩٠) تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ١٨.

(١٩١) تفسير فخر الرازي: ج ٢٨، ص ٢٨.

(١٩٢) الذاريات: ٤٢.

(١٩٣) ديوان المثنى بخط الميرخاني: الدفتر الاول، ص ٢٤.

(١٩٤) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٨٦ و ٤٨٧.

(١٩٥) جاءت أوصاف هذه الجنة في مدينة «إرم» في كتاب مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٨٦ و ٤٨٧.

(١٩٦) آل عمران: ١٧٨، جوامع الحكايات لمحمد عوفي، بتصحيح دكتور جعفر الشعار: ص ٣٦٥.

قصة العابد برصيصاي

(١٩٧) تفسير مجمع البيان: ج٩، ص ٢٦٥، البحار: ج ١٤، ص ٤٨٧.

قصة أصحاب الرس

(١٩٨) رَسَ: تعني بئر وأيضاً تعني الأثر القليل والذي يظل بعد الحادثة، وذلك لأن أصحاب الرس قُضُي عليهم إثر الذنوب، ولم يبق من ذكراهم إلا القليل في التاريخ، لذا سمّوا بأصحاب الرسّ.

(١٩٩) يحتمل البعض أنه نهر «أرس» الواقع في شمال آذربايجان.

(٢٠٠) البحار: ج ١٤، ص ١٢.

(٢٠١) اقتباسا عن عيون أخبار الرضّا: ج ١، ص ٢٠٧–٢٠٨.

(٢٠٢) نفس المصدر السابق.

قصة ادريس عليه السلام

(٢٠٣) الانبياء: ٨٥، مريم: ٥٦.
(٢٠٤) البحار: ج ١١، ص ٢٧٠-٢٨٠، كامل ابن الأثير: ج ١، ص ٢٢.
(٢٠٥) سعد السعود للسيد بن طاووس: ص ٣٨.
(٢٠٦) البحار: ج١١، ص ٢٨٢-٢٨٤.
(٢٠٧) البحار: ج ١١، ص ٢٧١.
(٢٠٨) اقتباساً عن كمال الدين الشيخ الصدوقي: ص ٧٦ و ٧٧.
(٢٠٩) إرشاد القلوب للديلمي: ج٢، ص ٣٢٦.
(٢١٠) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص ٣٤٩ و ٣٥٠.

قصة أصحاب الفيل

(٢١١) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص ٣٥٠.
(٢١٢) كما سنذكر، هذا الابن هو عبد الله والد الرسول صلى الله عليه وآله.
(٢١٣) نفهم من ظاهر العبارات أنه كان هناك فيل واحد ويركبه أبرهة وباقي جيشه كانوا يركبون الخيل والبعير، ولكن قال البعض أنهم كانوا ثمانية والبعض الآخر يقول كانوا اثنى عشر فيلاً، وكان أبرهة يريد أن يهدم الكعبة ليلاً ولكن عدم حركة الفيل عطّلهم الى الصباح.
(٢١٤) البحار: ج ١٥، ص ١٣٣.
(٢١٥) قيل أنهم كانوا في «وادي مُحسر» بين منى والمشعر.
(٢١٦) اقتباساً عن سيرة ابن هشام: ج١، ص ٤٤-٥٦، مجمع البيان: ج١٠، ص ٥٤٠ - ٥٤٣.
(٢١٧) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٥٤٢ - ٥٤٣.
(٢١٨) تفسير نور الثقلين: ج٥، ص ٦٧٣ و ٦٧٤.
(٢١٩) تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٧٤.
(٢٢٠) تفسير نور الثقلين: ج١، ص ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١.

فهرس المحتويات

المقدمة..٩

قصة حياة نبى الاسلامﷺ
١١

قصة حياة نبى الاسلامﷺ..١٣
بداية البعثة النبوية الشريفة ١٤
إعلان النبيﷺ عن دعوته...١٤
اعتراض ابو لهب الشديد وأذيته لنبى الاسلام ودفاع أبو طالب البطولى..................١٦
دعوة عشيرته الى الاسلام ١٦
معراج نبى الاسلامﷺ..١٧
هجرة الرسولﷺ من مكة الى المدينة...١٩
الله سبحانه يتباهى بعليعليه السلام عند ملائكته في ليلة المبيت.....................................٢٠
نظـرة الى غــزوة بدر..٢٠
سـتة أوامــر للانتصــار..٢٢
غزوة أحــد في القرآن..٢٣

معالـم غــزوة أحــد ٢٣
شائعة قتل الرسولﷺ ورسالة الله سبحانه ٢٤
العوامل الأربعة التي سببت النكسة ٢٤
حادثـة حمــراء الأســد ٢٥
معالم عن غـزوة حمـراء الأسـد ٢٥
مجروح يحمل مجروحا آخر ٢٦
«معبد الخزاعي» وإخباره أبو سفيان ٢٦
عليعليه السلام وأسره لرجلان وهو مجروح ٢٦
تجديد روحيّة الجيش واللحاق بالعدو ٢٧
غزوة الاحـزاب (الخندق) ٢٧
١- غزوة الخندق وبطولات عليعليه السلام والتي ليس لها مثيل ٢٨
قمّة الفضيلة في ضربة عليّعليه السلام ٣٠
٢- الطوفان المخرّب أو الامداد الغيبي الالهي ٣١
٣- ردّة فعل الرسولﷺ الشديدة مع اليهود النّاقضين للعهد ٣٢
نقض عهد بني قينقاع وجزائهم ٣٣
القرار الخطير ليهود بني نضير ونقضهم العهد ٣٣
يهود بني قريظة ونقضهم للعهد ومن ثم ذلّتهم ٣٤
قبــول توبـة أبي لبابـة ٣٦
فضيحة المنافق أعمى القلب في غزوة بني المصطلق ٣٧
اقــتراح الابــن ٣٨
سعي ومساعدة الرسولﷺ لإصلاح امرأة وزوجها مالياً ٣٩
بطلان الرسولﷺ للسنن الجاهلية الخاطئة ٤٠
قصــة الإفــك ٤١
١٨٥ رسالة الى ملوك ورؤساء البلدان ٤٣
نظرة الى فتح وتحرير قاعدة قريش والمشركين(مكة) ٤٦
قصص عن فتح مكة ٤٩
رؤيا الرسولﷺ ٤٩

قصة منع المشركين ٤٩
صلح الحديبية، مقدمة لفتح مكّة وانتصارات أخرى ٥٠
مناورة بيعة الرضوان ٥٢
عقد صلح الحديبية ٥٣
تعاطف الرسولﷺ في كتابة عقد الصلح ٥٤
تحرير الأسرى ٥٥
دخول الرسولﷺ مكة وأدائه العمرة قضاءاً ٥٦
مناورة توحيدية أثناء طواف الكعبة ٥٦
المكانة المهمة والعالية لفتح مكة ٥٧
أمر الله تعالى لترك القتال في مكّة ٥٧
القبض على الجاسوسة ٥٨
عقاب الخائن وسط الناس ٦٠
تحقق وعد الحقّ ٦١
شكر الله سبحانه ٦١
إرجاع الامانة لأصحابها ٦١
مفهوم البيعة في الاسلام ٦٢
بيعة ووفاء الرجال ٦٢
بيعة النساء ٦٣
العفو عن الوحشي غلام جبير بن مطعم ٦٥
لوحة عن غزوة حنين ٦٦
اعتراض الشيخ الأعمى ٦٧
ثلاثة عوامل للهزيمة ٦٨
غزوة ذات السلاسل ونزول سورة العاديات ٧٠
هلاك مقاتلين العدو على يد عليّعليه السلام ٧٢
حرق وهدم مسجد ضرار ٧٣
عقاب المخالفين والاضراب عنهم ٧٤
تدابير الرسولﷺ للقضاء على مؤامرة الاختلاف ٧٦

جلوس الرسول ﷺ مع المستضعفين وليس المستكبرين ٧٧
الردّ على منكري المعاد ٧٨
تشجيع الرسول ﷺ للمنفقين الخيّرين ٧٩
احترام المحاربين والمجاهدين ٧٩
تجـارة رابحـة ٨٠
مهمّة الامام عليّ عليه السلام في قراءة آيات البراءة في مكة ٨١
حادثـة المباهلـة ٨٢
معنى المباهلـة ٨٢
قصـة المباهلـة ٨٢
آخر حج وآخر خطاب للرسول ﷺ ٨٤
تعيين الخليفة وبيان حادثة غدير خم ٨٤
وقوع العذاب السريع على معترضي خلافة عليّ عليه السلام ٨٥

قصة نوح عليه السلام

٨٧

قصـة نـوح عليه السلام ٨٩
عناد ووقاحة قوم نـوح عليه السلام ٨٩
دعوات نوح عليه السلام المنطقيّة والمُحبّة ٩٠
بنـاء سفينـة النجـاة ٩١
سخرية وضحك قوم نوح عليه السلام المعاند ٩١
هروب المخرّبين من هجوم نوح عليه السلام ٩٢
ركّـاب سفينـة نـوح عليه السلام ٩٢
بلاء الطوفان العظيم نتيجةً للعن نوح عليه السلام ٩٣
هـلاك كنعـان ابن نـوح عليه السلام ٩٤
نـوح عليه السلام وشكـره الدائـم لله ٩٤
سفينة نوح عليه السلام على قمة جبل جودي ٩٥

حياة جديدة بعد انتهاء الطوفان ٩٥
سام وصيّ نوح عليه السلام ٩٦
فناء وعدم وفاء الدنيا في نظر نوح عليه السلام ٩٦

قصة هود عليه السلام
٩٩

قصة هود عليه السلام ١٠١
قوم عاد المعاند ١٠١
دعوة هود عليه السلام ومبارزته ضد عبادة الاصنام ١٠٢
جوهرة دعوة هود عليه السلام ١٠٢
ردّة فعل قوم عاد المعاند أمام هود عليه السلام ١٠٣
عذاب قوم عاد الشديد وهلاكهم الصعب ١٠٣
نجاة هود عليه السلام والمؤمنون ١٠٤
جنّة شدّاد وهلاكه قبل رؤيته الجنة ١٠٥
شفقة عزرائيل عليه السلام على شخصين أحدهما شدّاد ١٠٥

قصة العابد برصيصاي
١٠٧

قصة العابد برصيصاي ١٠٩

قصة أصحاب الرس
١١١

قصة أصحاب الرسّ ١١٣
عذاب أصحاب الرسّ الشديد ١١٥

قصة ادريس عليه السلام
١١٧

قصـــة إدريـس عليه السلام ١١٩
مقاطع عن مواعظ إدريس عليه السلام ١١٩
جزء من سنن وأوامر إدريس عليه السلام ١٢٠
هداية ألف شخص بإرشادات إدريس عليه السلام ١٢٠
مبارزة إدريس عليه السلام طاغوت عصره ١٢١
أمنية إدريس عليه السلام لإستمرار حياته لحمد الله وشكره ١٢٣
قبض روح إدريس عليه السلام بين السماء الرابعة والخامسة ١٢٣

قصـــة أصحاب الفيل
١٢٥

قصة أصحاب الفيل ١٢٧
لقاء وحديث عبد المطّلب بأبرهة ١٢٨
دعاء ومناجاة عبد المطلب ١٢٩
نهاية أبرهة المهلكة ١٣٠
نقاط عبرة في حادثة أصحاب الفيل ١٣١

الهوامش
١٣٣

فهرس المحتويات
١٤٥

مؤلفات السيّد الدّيباجيّ الالكترونية

١ - سيماء الأولياء وكراماتهم (ج٢)
٢ - حقوق الإنسان في الإسلام
٣ - حقوق المرأة في الإسلام
٤ - السيدة خديجة عليها السلام: مقاومة، إيثار، أسطورة
٥ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج١)
٦ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج٢)
٧ - القصص القرآنية (ج١)
٨ - القصص القرآنية (ج٢)
٩ - القصص القرآنية (ج٣)
١٠ - القصص القرآنية (ج٤)
١١ - القصص القرآنية (ج٥)
١٢ - التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٣ - النبوة، دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٤ - العدل، دراسة معاصرة، الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٥ - الإمامة، دراسة معاصرة، الحلقة الرابعة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٦ - المعاد يوم القيامة، دراسة معاصرة، الحلقة الخامسة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٧ - منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج١)
١٨ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج٢)
١٩ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج٣)
٢٠ - الفتنة العظمى، سلسلة دراسات تأريخية
٢١ - مظاهر الفرقة بين المسلمين وعلاجها
٢٢ - الإمام المهدي عليه السلام: الحقيقة المنتظرة
٢٣ - حوار حول الإمام المهدي (عج)
٢٤ - العباس بن علي عليه السلام بطل النهضة الحسينية
٢٥ - زينب الكبرى عليها السلام: بطلة الحرية
٢٦ - الحج: أحكاماً وفلسفة ودعاء
٢٧ - أجوبتنا على مسائلكم الدينية
٢٨ - رسالة عقائدية (ردّ على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي)
٢٩ - الروضة المنتخبة
٣٠ - أجود المناظرات (تحت إشراف المؤلف)
٣١ - القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر
٣٢ - أنصار الإمام الحسين عليه السلام
٣٣ - فضائل ومناقب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام في مسانيد أهل السنة (ج١)
٣٤ - فضائل ومناقب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام في مسانيد أهل السنة (ج٢)
٣٥ - قصص المثنوي
٣٦ - خطر الأفيون
٣٧ - زيارة الإمام الرضا سلام الله عليه